روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

سري جدا!!

٩١

# ضد الزمن

د. نبيل فاروق

## ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ونخبة من عالم الغد .

د. نبيل فاروق

## ١ ـ انهيار ..

خفت الأضواء تدريجيًا ، فى المستشفى المركزى فى ( القاهرة الجديدة ) ، إيذانًا ببدء النوبة الليلية ، وتحركت ممرضات المستشفى على أطراف أقدامهن ، خشية خدش ذلك الصمت المهيب ، الذى خيّم على المكان ، وراحت كل منهن تعدّ العدة لبدء عملها ، الذى يستمر عادة حتى الصباح ، وهنّ تلقين نظرات سريعة على المرضى ، من خلف جدران حجرات العناية المركزة الزجاجية ، ثم تعلّقت نظرة إحداهن بذلك الشاب النحيل ، الضئيل الجسد ، الذى وقف صامتًا ، يعقد ساعديه أمام صدره ، ويتطلع بنظرة ثابتة إلى الرائد ( نور ) الذى يرقد داخل واحدة من حجرات العناية المركزة ، واتجهت إليه ، هامسة فى إشفاق :

ـ ألن تنعم بقليل من الراحة ؟

ألقى عليها الشاب نظرة خاوية ، قبل أن يخلع منظاره الطبى ، ويفرك عينيه فى إرهاق ، مغمغمًا :

ـ إننى أشعر بالارتياح هنا .

هتفت مستنكرة فى خفوت :

ـ تشعر بماذا ؟!.. كفاك مكابرة بالله عليك .. ألم تر وجهك فى المرآة ؟!.. إنك تكاد تسقط من فرط الإعياء .. هيا .. عد إلى منزلك ، واحظ بقليل من النوم ، ولا تخش

على رفيقك .. إنه بحالة جيدة .. لقد أجروا له العملية الجراحية بنجاح ، وباستخدام المنظار ، وجروحه كلها تم لحامها بالليزر ، وسيعافى غدا على الأكثر ، وربما أمكنه العودة إلى منزله بعد غد .. صدقنى .. جراحات الليزر هذه معجزة ، فمثل هذه العمليات الجراحية كانت تحتاج إلى أسبوعين على الأقل للنقاهة ، فى القرن العشرين .

تنهَّد ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أتركه وحده .

هتفت :

- لماذا ؟!.. أقسم لك إنه بخير حال ، و ...

بترت عبارتها فى دهشة ، مع ذلك البريق العجيب ، الذى أطل من عينيه الغائرتين ، وسألته فى شىء من الحذر :

- ماذا حدث ؟

بدا الانفعال واضحًا على وجهه ، وهو يلوِّح بسبابته ، قائلاً :

- انظرى .. لقد استعاد وعيه .

التفتت بسرعة تتطلع إلى ( نور ) ، الذى فتح عينيه ، وراح يدير رأسه فى بطء ، فى حين اندفع ( محمود ) إلى داخل الحجرة ، وهو يهتف فى سعادة وارتياح :



- حمدًا لله يا ( نور ) .. حمدًا لله على سلامتك من تلك الإصابة .

ابتسم ( نور ) فى ضعف ، وغمغم :

- كيف حالك يا عزيزى ( محمود ) !.. قل لى : هل انتصرنا على الغزاة الجدد ؟(*)

أجابه ( محمود ) فى حرارة :

- انتصارًا ساحقًا يا صديقى .. بفضل الله ( سبحانه وتعالى ) .

حاول ( نور ) أن يبتسم ، إلا أن تلك الابتسامة لم تلبث أن ذابت مع نظراته القلقة الحزينة ، وهو يقول :

- وماذا عن ( نشوى ) .. هل توقف انخفاض عمرها المستمر ؟

تنهَّد ( محمود ) ، وهزَّ رأسه فى أسف ، مغمغمًا :

- كلا يا ( نور ) .. الجميع يحاولون إيقاف هذه الظاهرة العجيبة ، ولكن ما من فائدة حتى الآن .

سأله ( نور ) فى قلق :

- وكم بلغ عمرها الآن ؟

صمت ( محمود ) لحظة ، ثم غمغم فى مرارة :

- سبع سنوات .

---

(*) راجع قصة ( رعب فى الأعماق ) .. المغامرة رقم (٩٠) .

شعر ( نور ) بالجواب يطعنه فى مرارة ، فأغلق عينيه فى ألم ، وترك قلبه يبكى بخفقات كالنار ..

مسكينة هى ابنته ( نشوى ) ..

لم تحظ أبدًا بحياة عادية ، كأية فتاة أخرى ..

ففى العاشرة من عمرها ، خضعت مرغمة لتجربة شيطانية ، أجراها عليها مخلوقات من عالم آخر ، حاولت السيطرة على الأرض ، وإفناء كل من عليها من مخلوقات حية ، عن طريق عقار خارق للنمو ..

وبقطرة واحدة من هذا العقار الجهنمى ، قفز عمر ( نشوى ) عدة سنوات دفعة واحدة ..

عشر سنوات ..(*)

وفجأة ، أصبحت ( نشوى ) الصغيرة فتاة ناضجة ..

فتاة فقدت طفولتها ، ووثبت بغتة إلى عالم الشباب ..

ومضت خمس سنوات كاملة ..

خمس سنوات عاشت خلالها ( نشوى ) حياة الفتاة الناضجة ، واستخدمت عقليتها المتفوّقة ، التى نمتها تلك المخلوقات الفضائية ، لتصبح واحدة من أشهر خبيرات الكمبيوتر فى ( مصر ) والعالم ..

(*) راجع قصتى ( سادة الأعماق ) ، و ( المحيط الملتهب ) .. المغامرتين رقم (٦٢) و (٦٣) .



وفجأة ، فقد العقار مفعوله ..

بل انطلق يعدو فى الاتجاه العكسى ..

لقد انخفض عمرها ..

انخفض بسرعة مذهلة ..

لم يتوقّف حتى عند حاجز السنوات العشر ، التى بدأت عندها التجربة ..

لقد واصل الانخفاض ..

واصله ضد قوانين الطبيعة ..

وضد الزمن ..(*)

* * *

« لا أمل .. »

ارتجف جسد ( سلوى ) فى هلع ، عندما نطق الدكتور ( حاتم زهير ) ، رئيس قسم أبحاث النمو ، هذه الكلمة ، ووجدت نفسها تهتف فى انهيار :

ـ ماذا تعنى ؟.. هناك أمل حتمًا .. لن أستسلم للموقف ، وأترك ابنتى تتلاشى أمام عينىّ هكذا .

ربّت الدكتور ( حجازى ) على كتفها ، متمتمًا :

ـ بالطبع يا بنيتى .. لن نستسلم أبدًا .

ثم التفت إلى الدكتور ( حاتم ) ، مستطردًا :

(*) راجع قصة ( البركان ) .. المغامرة رقم (٨٩) .

- ألا توجد وسيلة أخرى ؟

هزّ الدكتور ( حاتم ) رأسه وكتفيه ، وهو يجيب فى أسف :

- لقد جرّبت كل الوسائل ، وما من فائدة .. عقارِ النمو الجديد لم يترك فى جسدها أدنى تأثير .. على الرغم من الجرعات المختلفة التى استخدمناها ، ثم إنه يؤدى إلى ارتفاع شديد فى عدد ضربات القلب ، ومن الخطر مواصلة تجربة تأثيره على جسدها ، بجرعات أكبر ..

تمتمت ( نشوى ) فى مرارة :

- لا تحاولوا .. إنه قدرى .

هتفت بها ( مشيرة ) ، وهى تبكى فى حرارة :

- لا .. لا تقولى هذا .. نحن نصنع قدرنا .. لا تستسلمى لليأس .

ترقرقت الدموع فى عينى ( نشوى ) ، وهى تقول :

- لا أحد يصنع قدره يا ( مشيرة ) .. ولا أحد يمكنه الفرار من مصيره أيضًا .

تجاوز ( رمزى ) فجأة حاجز الصمت ، الذى أحاط به نفسه منذ البداية ، وهو يقول :

- ولكن يمكنه أن يقاتل من أجل حياته على الأقل .

التفتت إليه فى صمت ، وقلبها يبكى بدموع من دم ..



صحيح أن جسدها انخفض عمره ، إلى ما يقرب من ست سنوات ، ولكن عقلها وقلبها مازالا يحملان أفكار فتاة فى الخامسة والعشرين ..

مازالت تحبه ..

وهذا مصدر حزنها الفعلى ..

لقد فقدته إلى الأبد ..

لن يمكنه أبدًا أن يرتبط بطفلة فى السادسة ، أو الخامسة من عمرها ..

حتى ولو كان عقلها فى الخامسة والعشرين من عمره ..

مستحيل أن يفعل !..

ربما يقاتل من أجل إنقاذها ..

ولكن ماذا بعد ؟!

حتى لو نجحوا ، وحافظوا على عمرها ، ومنعوا انخفاضه المستمر ، فستبقى مجرّد طفلة ، لها عقلية فتاة ناضجة ..

طفلة عبقرية ..

أما هو ، فرجل ناضج ..

رجل يحتاج إلى امرأة تماثله نضجًا وعمرًا ..

امرأة مثل ( مشيرة ) ..

لم يدرك أحدهم أن هذا هو ما يشغلها ، فى تلك الفترة الحرجة من حياتها ، وبخاصة ( رمزى ) ، الذى تابع فى حزم شديد :

- هناك حل فى مكان ما .

هتفت ( سلوى ) :

- أى مكان هذا ؟!.. أخبرنى به وسأخوض الأهوال من أجلها .

أشار ( رمزى ) إلى رأس ( نشوى ) ، وهو يجيب :

- هنا .

ردد الدكتور ( حاتم ) فى دهشة :

- أين ؟!

كرر ( رمزى ) فى إصرار :

- هنا .. فى رأس ( نشوى ) ..

أطل من عيونهم تساؤل واضح ، فتابع هو :

- هل تذكرون جلسة التنويم المغناطيسى ، التى أخضعت لها ( نشوى ) من قبل ؟..

لقد ارتطم عقلها برسالة ما ، تركها فى أعماقها سادة الأعماق .. رسالة تحمل تعليمات ما ، ربما كانت هى حل المشكلة .

قالت ( سلوى ) فى مرارة :



- وما الفائدة ؟.. لقد عجزت أنت عن انتزاع هذه الرسالة من عقلها ، ومعرفة فحواها ..

قال الدكتور ( حجازى ) :

- هذا صحيح يا ( رمزى ) .. ألا تذكر كيف أصابها هياج عصبى حاد ، عندما حاولت هذا .

أجابهما ( رمزى ) فى حزم :

- سأجد وسيلة لهذا .

قال الدكتور ( حاتم ) :

- المهم أن تجد هذه الوسيلة بالسرعة اللازمة ، فمن الواضح أن سرعة هبوط الزمن قد بلغت أقصاها .

أدرك الجميع ما يعنيه على الفور ، فالتفتوا إلى ( نشوى ) فى سرعة ، وشهقت ( سلوى ) ، هاتفة :

- ابنتى !!

وصاح الدكتور ( حجازى ) :

- يا إلهى !.. إنها فى الخامسة من عمرها على الأكثر .

صرخت ( مشيرة ) :

- افعل شيئًا يا دكتور ( حاتم ) .. لا تتركها هكذا .. افعل شيئًا لتوقف هذا الهبوط المستمر .

هزّ الرجل رأسه فى يأس ، وقال :

- ليتنى أفعل .. ليتنى أجد الوسيلة لإقناع جسدها بالتوقف عن النمو .

هتف ( رمزى ) فجأة :

- إقناع ماذا ؟!

ثم تشبث بالدكتور ( حاتم ) ، مستطردًا :

- أشكرك يا سيدى .. أشكرك كثيرًا .

هتفت ( سلوى ) فى قلق :

- ماذا حدث يا ( رمزى ) ؟!

وسأله الدكتور ( حجازى ) :

- ماذا هناك يا ولدى ؟

ولكن ( رمزى ) تابع وكأنه لم يسمعهما :

- لقد أرشدتنى إلى الحل يا دكتور ( حاتم ) .. أرشدتنى إلى الحل الصحيح .

تمتم الرجل فى دهشة بالغة :

- حل ماذا ؟

أجابه ( رمزى ) :

- حل المشكلة .. لقد وجدت الوسيلة المثلى ، للحصول على تلك الرسالة من عقل ( نشوى ) ..

قالها وعيناه تحملان بريقًا عجيبًا ..

بريق الحماس ..

والفوز .

* * *



# ٢ ـ الرسالة ..

التقى حاجبا طبيب المستشفى المركزى فى شدة ، وهو يهتف فى استنكار :

- ماذا تفعل بالضبط ؟!.. هل أصابك الجنون ؟!

أجابه ( نور ) فى حزم :

- ربما .. ولكننى سأغادر هذا المستشفى على الفور ، ودون إبطاء .

صاح الطبيب :

- ولكن هذا أمر بالغ الخطورة .. هل تدرك ما يمكن أن يصيبك ، إذا ما غادرت المستشفى ، قبل أن تتماثل للشفاء ؟

قال ( نور ) فى حدة :

- كلا .. ولكننى أدرك تمامًا أن حياة ابنتى فى خطر بالغ ، وأنها تحتاج بشدة إلى تواجدى إلى جوارها .. هذا كل ما أدركه فى الوقت الحالى .

أجابه الطبيب فى غضب :

- دع غيرك يهتمّ بحياة ابنتك ، واهتم أنت بحياتك .

ربت ( محمود ) على كتف الطبيب ، وهو يقول :

- لاترهق نفسك يا رجل .. لقد حاولت كثيرًا من قبلك .. وفشلت .

اتجه ( نور ) نحو الباب ، وهو يلقى بطاقة القيادة المغناطيسية إلى ( محمود ) ، قائلاً :

ـ خذ .. ستقود أنت .

أجابه ( محمود ) ، وهو يعيد إليه البطاقة :

ـ لن نحتاج إلى استخدام السيارة ، فقسم أبحاث النمو في المبنى المجاور .

قال ( نور ) :

ـ هيا بنا إذن .

صاح الطبيب خلفهما :

ـ سأضطر إلى إبلاغ الشرطة ، ولتعلم أن مغادرة المستشفى دون إذن جريمة ، تستوجب العقاب ، والـ ...

ولكن ( نور ) صفق الباب خلفهما في قوة ، دون أن يبالى بما سيحدث ..

لم يعد يهمه ، فى حياته كلها سوى ابنته ..

فقط ابنته ..

★ ★ ★

جلست ( نشوى ) صامتة مستسلمة ، أمام ( رمزى ) ، وهى تقول في إحباط :

ـ لن تنجح هذه المحاولة .

قال فى حزم :



ـ دعى لى هذه المشكلة ، واستسلمى للنوم فحسب .

استرخت فى مقعدها ، أو هى حاولت هذا ، وهى تتمتم :

ـ أنا رهن إشارتك .

تطلع ( رمزى ) إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ هل ترين عينىّ ؟!.. إنهما تتسعان .. وتتسعان .

غمغمت :

ـ لست أشعر بهذا .

بدا لها صوته عميقًا ، رصينًا ، أخاذًا ، وهو يقول :

ـ بل تشعرين به ، ولكنك تقاومينه .. هيا .. انظرى جيداً .

لم تنبس ببنت شفة هذه المرة ، وإن بدت لها عيناه وكأنهما تتسعان بالفعل ..

وتتسعان .. وتتسعان ..

وبصوت بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، قال لها ( رمزى ) :

ـ أنت الآن مسترخية تمامًا ، وتشعرين بهدوء نفسى تام .

تمتمت مأخوذة :

ـ هذا صحيح .

قال بصوته العميق :
ـ ارجعى بذاكرتك إلى الوراء فى هدوء .. إلى خمس سنوات مضت .
أمسكت ( سلوى ) يد الدكتور ( حجازى ) بقوة ، عند هذه النقطة ، وتمتمت فى توتر شديد :
ـ هذا ما كنت أخشاه . .
ربت الدكتور ( حجازى ) على يدها ، وقال فى همس حنون :
ـ اطمئنى .. ( رمزى ) خبير بردود الأفعال النفسية ، ومن المؤكد أنه يسير على نهج مدروس .
لم يسمعهما ( رمزى ) ، الذى ركز انتباهه كله على ( نشوى ) ، التى أجابته ، وجفناها يتثاقلان :
ـ لقد عدت بذاكرتى إلى خمس سنوات مضت .
سرت قشعريرة باردة فى جسد ( سلوى ) ، وهى تنتظر الخطوة التالية ، ولكن ( رمزى ) تابع بصوت أكثر عمقًا :
ـ والآن انظرى إلىّ جيدًا ، وأخبرينى .. ماذا ترين ؟
أجابته بصوت خافت مستسلم :
ـ أرى ( رمزى ) ، خبير الطب النفسى ، وعضو فريق والدى للمخابرات العلمية .





وبصوت بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، قال لها ( رمزى ) أنت الآن مسترخية تمامًا ، وتشعرين بهدوء نفسى تام ..

قال ( رمزى ) فى هدوء وعمق :
ـ خطأ .
انعقد حاجبا الدكتور ( حاتم ) ، وهو يهمس فى عصبية :
ـ ماذا يفعل بالضبط ؟
ضغط الدكتور ( حجازى ) يده فى رفق ، مغمغمًا :
ـ انتظر ، وسترى .
فى نفس اللحظة كان ( رمزى ) يقول لـ ( نشوى ) ، التى خضعت تمامًا لتأثير التنويم المغناطيسى :
ـ انظرى جيدًا ، وسترين أننى لست ( رمزى ) .. إننى أحمل وجهًا أخضر ، ورأسًا أصلع ، وجسدى كله مغطى بحراشيف لامعة .. انظرى إلى عينىّ جيدًا .. إنهما لامعتان مضيئتان .. هل عرفت الآن من أنا ؟
صمتت لحظة ، قبل أن تقول فى خضوع :
ـ نعم .. أنت أحد السادة .. سادة الأعماق .(*)
ارتجف جسد ( سلوى ) فى قوة ، فى حين هتف الدكتور ( حاتم ) فى انفعال هامس :
ـ عبقرى .. هذا الشاب عبقرى .. لقد أقنعها بأنه أحد الذين غرسوا الرسالة في عقلها ..
أراهنك أنها ستدلى الآن بكل ما لديها .

(*) راجع قصة ( سادة الأعماق ) .. المغامرة رقم (٦٢) .



لم يعلق الدكتور ( حجازى ) على عبارته ، فقد بدا مأخوذًا ، مشدوهًا ، يتطلع بكيانه كله إلى ( نشوى ) ، وإلى ( رمزى ) ، الذى يقول بصوته المهيب :
ـ لقد غرست فى عقلك رسالة خاصة ، عندما كنت تحت سيطرتى .. هل تذكرينها ؟
أجابته فى خفوت :
ـ نعم .. أذكرها جيدًا .
ازدرد لعابه ، فى محاولة للسيطرة على انفعاله ، وهو يقول :
ـ أعيديها على مسامعى إذن .
صمتت طويلاً هذه المرة ، حتى أنه شعر بتوتر بالغ ، أزالته هى بقولها :
ـ ( أغادير ) .
وصمتت لحظة أخرى ، ثم تابعت ..
.. ( أغادير ) .. الساحل الغربى .. عشرة .. ثلاثون .. مائة .. خط الدفاع الثانى ..
راحت تردد هذه العبارة مرات عديدة ، والجميع يتطلعون إليها فى دهشة ، قبل أن تغمغم ( سلوى ) :
ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أتاها صوت من خلفها ، يقول في حزم :

- يعني أنك حصلت على درجات ضعيفة ، في دروس الجغرافيا يا عزيزتي .

التفتت إليه ( سلوى ) ، هاتفة :

- ( نور ) !.. يا إلهي !.. لماذا غادرت فراش المرض ؟

تجاهل ( نور ) هذا السؤال ، وهو يخطو مع ( محمود ) إلى داخل الحجرة ، قائلاً :

- ( أغادير ) مدينة من مدن المملكة المغربية ، والرقمان عشرة وثلاثون ، هما إحداثيات خطي الطول والعرض .

اهتم ( رمزي ) بإيقاظ ( نشوى ) ، في حين قال الدكتور ( حجازي ) في اهتمام شديد :

- وماذا عن الرقم مائة ؟

أجابه ( نور ) :

- ربما يعني بعد تلك الإحداثيات عن الساحل الغربي لمدينة ( أغادير ) .. مائة متر مثلاً .. وهناك ، في قاع المحيط ، في تلك النقطة بالضبط ، ستجد خط الدفاع الثاني لسادة الأعماق .

استيقظت ( نشوى ) في تلك اللحظة ، وتحررت من



سيطرة التنويم المغناطيسي ، فهتفت وهي تندفع نحو ( نور ) :

- أبي .. لماذا أتيت ؟

احتواها ( نور ) بين ذراعيه في حنان جارف ، وهو يقول :

- لم أكن لأتخلى عنك أبدا يا ( نشوى ) ، حتى ولو كانت حياتي هي الثمن .

هتفت ( سلوى ) :

- ( نور ) .. إنك لن تغادر المستشفى .

أجابها في حزم :

- بل سأفعل يا ( سلوى ) .. سأفعل من أجل ( نشوى ) .

انهمرت الدموع من عيني ( نشوى ) في حرارة ، وهي تهتف :

- لا يا أبي .. أرجوك .. أتوسل إليك .. لا تفعل هذا .. لا تفعله أبدا من أجلي .. دعني أموت مرتاحة الضمير .

هتف ( نور ) :

- لا يا ( نشوى ) .. المفروض أن أفعل كل ما يمكنني من أجلك .

صرخت :

- أرجوك يا أبي .. أرجوك .

وفي ذهول ، اتسعت عيون الجميع ..

لقد انتفض جسدها بغتة ، ثم تضاءل بضع سنتيمترات دون مقدمات ..

لقد انخفض عمرها عامًا كاملاً بضربة واحدة ..

وكانت ظاهرة مدهشة ..

بل مذهلة ، عقدت ألسنة الجميع ، فيما عدا الدكتور ( حاتم ) ، الذي هتف :

- عدْ ابنتك بأنك لن تذهب أيها الرائد .. هيا .. لا تدعها تحزن أبدًا .

ولم يدرك الجميع ما يعنيه ..

فيما عدا ( نور ) ..

عقله وحده أدرك الموقف ، فهتف بسرعة :

- حسن .. لن أذهب .. أعدك بهذا .

تنهدت ( نشوى ) في ارتياح ، واحتضنته بقوة بذراعيها الصغيرين ، وهي تقول :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

تطلع الجميع إلى الدكتور ( حاتم ) في تساؤل ، فقلب كفيه ، قائلاً :

- لست أدرى ما تفسير هذا علميًا .. ولكن الحزن يعجل بانخفاض عمرها .



قال الدكتور ( حجازى ) في دهشة :

- كيف ؟

هز الدكتور ( حاتم ) رأسه ، وأجاب :

- لا أحد يدرى .. إننا نتعامل مع مادة مجهولة .. لا تنس هذا قط .

بدا مزيج من الحيرة والتوتر على وجه ( نور ) ، فأسرع ( رمزى ) يقول :

- اطمئن يا ( نور ) .. ابق أنت و ( سلوى ) مع ابنتكما في محنتها ، وسنرحل أنا و ( محمود ) للبحث عن خط الدفاع الثاني هذا ، وأعدك أننا سنبذل قصارى جهدنا .

هتف الدكتور ( حجازى ) في حماس :

- سأذهب معكما .

تمتم ( نور ) في تردد :

- ولكن .

قاطعه ( رمزى ) في حزم :

- ابق يا ( نور ) .. ابق وسندير هذه المغامرة بدونك .. ولكن اطمئن .. سنعود ظافرين بإذن الله .

بدا توتر شديد على وجه ( نور ) ، في حين قال الدكتور ( حاتم ) في حزم :

- المهم أن تعودوا فى الوقت المناسب ..

ثم اتجه فى حزم إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وضغط أزراره ، وقال وهو يشير إلى الأرقام ، التى تراصت فى وضوح ، على شاشته الفيروزية :

- لقد قضيت ليلة أمس فى دراسة تأثير تلك المادة العجيبة على جسد ( تشوى ) ، وغذيت الكمبيوتر بكل المعلومات والتطورات ، ثم ألقيت عليه فى النهاية سؤالاً واحداً ..

وصمت لحظة ، أدار عينيه خلالها فى عيون الجميع ، ثم تابع فى حسم :

- كم تبقى أمام ( تشوى ) ، قبل أن تتلاشى تماماً من عالمنا ؟

ارتجفت ( سلوى ) فى ارتياع ، وضم ( نور ) ابنته إلى صدره أكثر ، فى حين سأله الدكتور ( حجازى ) هامساً :

- وبم أجاب ؟

ضغط الدكتور ( حاتم ) زراً من أزرار الكمبيوتر ، فظهرت الإجابة واضحة مخيفة ، على شاشته الصغيرة ..

لقد بقيت عشرون ساعة فحسب ..

عشرون ساعة على نقطة الصفر ..

وعلى النهاية .

* * *



## ٣ ـ أعماق الخطر ..

لاذ ( رمزى ) بالصمت التام ، فلم ينبس ببنت شفة ، وهو يستند إلى حاجز سفينة الصيد الحديثة ، ويتطلع إلى الأفق ، وعقله لا يحمل سوى فكرة واحدة ..

الأمل ..

أمل ( تشوى ) الأخير ..

هاهوذا المحيط الأطلنطى يمتد أمامه ، إلى ما لا نهاية ، على بعد أمتار من ساحل ( أغادير ) المغربية ..

ولكن ماذا ينتظره فى الأعماق ؟..

أى خط دفاعى هذا ، الذى أقامه سادة الأعماق ، قبل رحيلهم ؟..

انتزعه ( محمود ) من شروده وأفكاره ، وهو يقول :

- لقد وصلنا .

اعتدل ( رمزى ) فى حدة ، وحدق لحظة فى وجه ( محمود ) ، وهو يتمتم :

- وصلنا .

لم يدر لماذا سرت فى جسده قشعريرة باردة ، عندما أخبره ( محمود ) أن النقطة التى سعوا خلفها ، تحتهم مباشرة ، فى هذه اللحظة ..

النقطة التى تخفى سر سادة الأعماق ..

وأمل ( نشوى ) فى البقاء ..

ومن خلف كتفى ( محمود ) ، رأى ( رمزى ) قبطان السفينة يأمر رجاله بالتوقف ، وأحدهم يلقى المرساة ، فنفض عن نفسه توتره ، وقال :

ـ هيا بنا نستعد .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى كان هو و ( محمود ) يرتديان ثياب الغوص ، وكل منهما يضع على كتفيه أسطوانة الأكسجين المضغوط ، والقبطان يقول لهما فى حزم :

ـ ما لديكما من هواء يكفى ساعتين فحسب من الغوص ، فاحرصا على العودة فى الوقت المناسب ، واحذرا من الابتعاد عن المكان كثيرًا .

أومأ كل منهما برأسه إيجابًا ، فى حين ربت الدكتور ( حجازى ) على كتف ( رمزى ) ، وقال :

ـ كنت أتمنى أن أصحبكما يا ولدى ، ولكن ..

قاطعه ( رمزى ) :

ـ ربما كان تواجدك على السطح أفضل يا سيدى .

تمتم الدكتور ( حجازى ) :

ـ نعم .. ربما .

تبادل الجميع نظرات صامتة ، ثم اتجه ( رمزى )



و ( محمود ) إلى حاجز السفينة ، وغمغم ( محمود ) فى رهبة :

ـ على بركة الله :

ووثب الاثنان إلى المحيط ..

ومع ارتطام جسديهما بالماء ، انتفض جسد الدكتور ( حجازى ) فى عنف ، فابتسم قبطان السفينة ، وقال وهو يشعل غليونه :

ـ هل تشعر بالخوف عليهما ؟

غمغم الدكتور ( حجازى ) :

ـ بالتأكيد .

نفث القبطان دخان غليونه فى عمق ، وقال :

ـ لست أتفق معك فى هذا الشعور يا سيدى . فقفزتهما إلى الماء تعنى أنها ليست أول مرة يغوصان فيها ، وعمق المياه لا يتجاوز عشرين مترًا .

تنهد الدكتور ( حجازى ) ، وقال :

ـ ليس هذا ما يقلقنى .

سأله القبطان فى دهشة :

ـ ماذا إذن ؟

لم يستطع الدكتور ( حجازى ) إجابة هذا السؤال .. ربما لأنه هو نفسه يجهل الجواب ..

إنه لا يدرك ماذا سيواجهان في الأعماق ، ولكنه يشعر أن المواجهة لن تكون أبدًا عادية أو بسيطة ..

ستكون رهيبة ..

رهيبة بحق ..

* * *

على الرغم من أن حلتي الغوص ، اللتين يرتديهما ( رمزى ) و ( محمود ) ، كانتا مزودتين بجهاز اتصال دقيق ، إلا أن أحدهما لم يتبادل كلمة واحدة مع الآخر ، وهما يغوصان في الأعماق ، حتى بلغا القاع ، الذي بدا على ضوء مصباحيهما عاديًا بسيطًا ، تخفيه الشعاب المرجانية ، والصخور ، وتسبح حوله أسماك عديدة ، من مختلف الأنواع ..

وفي حيرة راح كل منهما يدير عينيه فيما حوله ، حتى تمتم ( محمود ) :

ـ لست أجد شيئًا !

أجابه ( رمزى ) في توتر :

ـ ولكن هناك شيء ما حتمًا .. لقد حددت ( نشوى ) الموقع بمنتهى الدقة .

قال ( محمود ) :

ـ أين هو إذن ؟



أدار ( رمزى ) عينيه حوله مرة أخرى ، قبل أن يقول في عصبية :

ـ لست أدرى .

عاد الصمت يغلفهما مرة أخرى ، وهما يسبحان في بطء حول المكان ، وضوء المصباحين يجوس القاع ، ثم هتف ( محمود ) فجأة :

ـ هاهوذا .

خفق قلب ( رمزى ) في شدة ، وهو يلتفت في لهفة إلى حيث يشير ( محمود ) ، ورأى ذلك الكهف البحري ، الذي يكاد مدخله يختفي ، خلف شعاب مرجانية كثيفة ، تحجبه من هذا الجانب عن عيونهما ، ورأى ( محمود ) يتجاوز تلك الشعاب المرجانية ، ويتجه مباشرة نحو مدخل الكهف ، فقال في توتر ، عبر جهاز الاتصال :

ـ احترس يا ( محمود ) .. إننا لا ندرك ما ينتظرنا هناك .

توقف ( محمود ) دفعة واحدة ، وتمتم :

ـ أنت على حق .

لحق به ( رمزى ) ، عند مدخل الكهف ، وحاول إضاءة المكان بمصباحه ، وهو يقول :

ـ إنه يبدو أشبه بفجوة عميقة ، فدرجة ميله تتجاوز الستين درجة .

رفع ( محمود ) حاجبيه ، وقال :

ـ يبدو لى مكانًا مثاليًا ، لإخفاء سر رهيب .

اقترب مع قوله من الكهف أكثر وأكثر ، ومد يده بالمصباح ، ليضيئه من الداخل ، وهو يستطرد :

ـ ولكن كم يبلغ عمقه ؟

أجابه ( رمزى ) :

ـ لست أدرى ، فضوء المصباح لا يبلغ نهايته .

قال ( محمود ) فى اهتمام :

ـ أعتقد أننى أرى القاع ، ولكنه يقترب ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وراح يتطلع إلى قاع الكهف فى اهتمام بالغ ، فسأله ( رمزى ) ، وهو يقترب منه :

ـ ماذا تعنى بأن القاع يقترب ؟

أجابه ( محمود ) فى توتر :

ـ هناك شىء ما يتحرك فى الداخل .

شعر ( رمزى) بمزيد من القلق ، وهو يسأله :

ـ شىء ؟!.. شىء مثل ماذا ؟!

بدا له لحظة أن ( محمود ) سيجيب تساؤله ، إلا أنه فوجئ به يتراجع فى حركة حادة ، فهتف :

ـ ( محمود) .. ماذا هناك ؟



لحق به (رمزى) ، عند مدخل الكهف ، وحاول إضاءة المكان بمصباحه .

وفجأة ، وثب شيء ما من الكهف ، والتف حول ذراع
( محمود ) ، الذي صرخ :

ـ النجدة يا ( رمزي ) ..

نطقها قبل أن يجذبه ذلك الشيء في عنف ، فيختفي جسده داخل الفجوة ، وصاح ( رمزي ) في ارتياع :

ـ ( محمود ) .. أين أنت ؟!

أتاه الجواب عبر جهاز الاتصال ، على شكل طرقات عنيفة ، وصرخات مكتومة ، قبل أن يتوقف البث ، ويصمت الصوت تمامًا ..

وبكل الذعر الكامن في أعماقه ، صرخ ( رمزي ) :

ـ ( محمود ) .. أين ذهبت ؟.. أين أنت ؟

ولكنه لم يتلق جوابًا قط ..

* * *

نفث قبطان السفينة المغربي دخان غليونه في بطء ، وتطلع لحظة في صمت ، إلى الدكتور ( حجازي ) ، الذي استند إلى حاجز السفينة ، ووقف يتطلع إلى المحيط في قلق شديد ، ثم اقترب منه ، وسأله في خفوت :

ـ أمازلت تشعر بالقلق ؟

أجابه الدكتور ( حجازي ) في اقتضاب :

ـ نعم .



نفث القبطان دخان غليونه مرة أخرى ، ثم سأله بغتة :

ـ قل لي : من أنتم بالضبط ؟

أجابه الدكتور ( حجازي ) :

ـ لقد أخبرتك من قبل .. إننا بعثة علمية ، و ...

قاطعه القبطان في حدة :

ـ لا تحاول خداعي .

اعتدل الدكتور ( حجازي ) ، وتطلع إليه في دهشة ، وهو يقول :

ـ خداعك ؟!.. ولماذا أخدعك ؟

أجابه في عصبية :

ـ اسمع يا هذا .. لقد رافقت عشرات البعثات العلمية من قبل ، ولكنها أول مرة أرى فيها بعثة علمية ، تختار خطي طول وعرض محدودين ، ويحمل رجالها مسدسات الليزر ، وهم يغوصون في الأعماق .

حاول الدكتور ( حجازي ) أن يخفي انفعاله ، وهو يقول :

ـ اختيارنا للمكان جاء بمحض الصدفة ، و ...

قاطعه القبطان في سخرية حادة :

ـ محض الصدفة ؟!.. يا له من قول ساذج ، لا يصلح

لخداع طفل صغير !.. وهل جاءت الصدفة قوية ، إلى حد اختياركم للبقعة التى ثارت حولها الأقاويل ، منذ عدة سنوات ؟!.

انعقد حاجبا الدكتور ( حجازى ) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أقاويل ؟!.. أية أقاويل ؟!

رمقه القبطان بنظرة شك ، وهو يقول :

ـ أتتظاهر بأنك لا تعلم شيئًا عن تلك الأقاويل ؟

صاح الدكتور ( حجازى ) فى وجهه بحدة :

ـ لا تواصل هذا العبث السخيف يا رجل ، وأخبرنى .. أية أقاويل تلك التى تتردد ، حول هذه البقعة ؟!

صمت القبطان لحظات ، وهو يحدجه بنظرة شك ، ثم عاد يشعل غليونه ، وينفث دخانه فى بطء ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ المفروض أن هذا الأمر سرى إلى حد ما .

سأله الدكتور ( حجازى ) :

ـ أهو خطير إلى هذا الحد ؟

صمت القبطان لحظة أخرى ، قبل أن يهز كتفيه ، قائلاً :

ـ لا .. لست أعتقد هذا .



ثم تطلع إلى الأفق دقيقة ، قبل أن يقول :

ـ أظنه أمرًا يعنى علماء الأحياء بالدرجة الأولى ، فهو مجرد سلوك عدوانى عجيب ، انتاب المخلوقات البحرية ، فى تلك البقعة بالذات .

ردد الدكتور ( حجازى ) ، فى شىء من الخوف :

ـ سلوك عدوانى ؟!.. ما الذى تقصده بسلوك عدوانى ؟!

تردد القبطان لحظة ، ثم أجاب :

ـ مجرد تصرفات عدوانية .. أسماك تهاجم السباحين دون مبرر .. أنواع من الأسماك المسالمة تتوحش فجأة .. أشياء من هذا القبيل ..

اتسعت عينا الدكتور ( حجازى ) فى هلع ، وهو يهتف :

ـ وتخبرنى بهذا الآن فقط .

ثم عاد يتطلع إلى مياه المحيط فى ارتياع ، مستطردًا :

ـ رباه !.. هذا يعنى أن ( رمزى ) و ( محمود ) سيواجهان فى الأعماق خطرًا حقيقيًا .

وخفق قلبه فى عنف ..

* * *

اتسعت عينا ( رمزى ) فى ذعر وذهول ، عندما رأى ( محمود ) يختفى أمامه ، داخل الكهف البحرى ، فاندفع إليه صارخًا :

- ( محمود ) .. أين أنت ؟

أضاء مصباحه الكهف ، ورأى قدمى ( محمود ) ، تندفعان عبر ممر جانبى ، وتختفيان فيه ، فاقتحم الكهف بلا تردد ، وغاص خلف صديق عمره ، وراح يسبح بكل قوته وسرعته ، محاولاً الوصول إليه ، وهو يلمح ظلّ ذلك الشىء الهلامى ، الذى يجذب ( محمود ) إلى أسفل ، بلا رحمة أو هوادة ..

ومرة أخرى صرخ ( رمزى ) :

- ( محمود ) .. أين أنت ؟

سمع خبطات وشوشرة ، فى جهاز الاتصال ، قبل أن يأتيه صوت ( محمود ) ، هاتفًا :

- النجدة يا ( رمزى ) .. إنه أخطبوط كبير .

هتف ( رمزى) :

- أخطبوط ؟! .. ولكن هذه الحيوانات البحرية لا تتميز عادة بالعدوانية أو الشراسة ، ومن النادر أن تهاجم البشر(*) .

---

(*) حقيقة علمية .



صاح ( محمود ) :

- ولكنها فعلت .. هيا .. افعل أنت شيئًا أيضًا .. لا تتركنى هكذا .

هتف ( رمزى ) فى توتر :

- أطلق عليه أشعة مسدسك الليزرى يا رجل .. هيا .. لا تتردد .

صاح ( محمود ) فى عصبية :

- إننى أحاول الوصول إلى المسدس ، ولكنه يجذبنى من معصمى الأيمن ، ومن العسير فى هذا الوضع أن ألتقط المسدس بيسراى .

صرخ ( رمزى ) بكل قوته :

- حاول يا ( محمود ) .. حاول .

بذل ( محمود ) قصارى جهده ، ليدور بيسراه حول جسده ، ويلتقط المسدس ، وشعر بآلام فى عضلات كتفه ، ولكنه هتف :

- ساعدنى يا إلهى !

لم يكد ينطقها ، حتى خيّل إليه أن يده قد استطالت بغتة ، والتقطت أصابعه مقبض مسدسه ، فانتزعه من غمده بحركة سريعة ، وصوّبه إلى الأخطبوط ، صارخًا :

- نجحت يا ( رمزى ) .. نجحت .

ثم أطلق أشعة الليزر نحو الأخطبوط ..

وانتفض جسد الأخطبوط في عنف ، ثم توقف بغتة ، فأطلق عليه ( محمود ) أشعة مسدسه مرة أخرى ، وهو يهتف :

ـ هيا .. ابتعد أيها الأخطبوط السخيف .

تلقى الأخطبوط الضربة الثانية ، وانتفض مرة أخرى ، ثم أفلت ذراع ( محمود ) ، واندفع يغوص في الأعماق ، مطلقًا خلفه سحابة كثيفة من الحبر ، فهتف ( رمزى ) :

ـ هل تخلصت منه ؟

أجابه ( محمود ) :

ـ نعم .. ولكنني لم أعد أرى شيئًا ..

قال ( رمزى ) في ارتياح :

ـ تحسس الجدار واصعد يا فتى .. حمدًا لله على سلامتك .

راحا يسبحان صاعدين ، و ( محمود ) يقول :

ـ يا إلهي !.. لم أتصور أبدًا أنني سأفلت منه ، أو ...

انقطع صوته فجأة ، فتوقف ( رمزى ) ، هاتفًا :

ـ ( محمود ) .. أين أنت ؟..

لم يتلق جوابًا ، في هذه المرة أيضًا ، فهتف :

ـ ( محمود ) !.. ماذا حدث هذه المرة ؟!



شعر فجأة بأصابع قوية تحيط بقدمه ، فصرخ :

ـ ( محمود) ..

تشبثت الأصابع أكثر وأكثر بقدمه ، وأصبح من الواضح أنها لن تتركه ..

لن تتركه أبدًا .

* * *

# ٤ ـ الضياع ..

راح قلب ( سلوى ) يدق فى قوة ، وهى تتطلع فى هلع إلى ابنتها ، قبل أن تهتف فى ارتياع وذعر شديدين :

ـ ( نور ) .. افعل شيئاً .. عمر ( نشوى ) يتناقص بسرعة أكبر .. إنها تبدو لى كما لو أنها لا تتجاوز السنوات الثلاث الآن .

تفطر قلب ( نور ) ، وعجز لسانه المغموس فى المرارة عن النطق ، فى حين تمتمت ( نشوى ) فى صعوبة :

ـ أمى .. أبى .. لا .. لا تبك .

كانت تجد صعوبة حقيقية فى التحدث ، وتذكر الكلمات والعبارات ، كما لو أنها بالفعل مجرد طفلة صغيرة ، لا تتجاوز الثالثة من العمر ، وقال الدكتور ( حاتم ) فى أسى :

ـ رباه !.. معدل الانخفاض يتزايد ، كلما مرّ الوقت .. ستتلاشى تماما بعد عشر ساعات على الأكثر .

ترقرقت عينا ( نور ) بالدموع ، وهو يقول :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟

اندفعت ( مشيرة ) فجأة داخل المكان ، وهى تلهث فى شدة ، وتقول فى انفعال :

ـ لدى حل لهذا .

التفت إليها الجميع فى لهفة ، وسألها ( نور ) بصوت مختنق :



ـ ماذا لديك ؟

ظلت تلهث لحظات ، عاجزة عن الكلام ، ثم لوحت بسبابتها ، قائلة :

ـ برنامج رحلات الفضاء الطويلة .

سألتها ( سلوى ) فى حيرة وتوتر :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابتها لاهثة :

ـ سنجمدها .

برقت عينا ( نور ) فى شدة ، فى حين هتفت ( سلوى ) :

ـ نجمدها ؟!.. نجمد ابنتى ؟!

وصاح الدكتور ( حاتم ) :

ـ رائع .. فكرة عبقرية يا سيدتى .. نعم .. هذا هو الحل الوحيد لإيقاف تلك التغيرات العجيبة ، التى تتراجع بعمرها ضد الزمن .. هذا صحيح .

صاحت ( سلوى ) :

ـ ماذا تقولون ؟

ضمها ( نور ) إليه فى إشفاق ، وقال :

ـ ألا تذكرين تلك التجارب ، التى أجروها فى فترة ما قبل الاحتلال ، حول تجميد أجساد رواد الفضاء ، ووضعها فى حالة اصطناعية من توقف النمو وتشاط

الجسد ، بحيث يمكنهم القيام برحلات فضائية بالغة الطول ، قد تبلغ ألف عام في المتوسط ، دون أن يزداد عمرهم يوما واحدا ، ثم يتم إيقاظهم بوساطة ميقات خاص ، عندما يصلون إلى هدفهم .

شحب وجه ( سلوى ) ، وهي تقول :

ـ وهل ستفعلون هذا مع ابنتي ؟

أومأ ( نور ) برأسه إيجابا ، وقال في مرارة :

ـ إنه الحل الوحيد يا ( سلوى ) .

ارتجفت شفتاها لحظات ، وزاغت عيناها ، ثم انفجرت فجأة باكية ، وقال ( نور ) في حنان :

ـ صدقيني يا ( سلوى ) .. إنه أفضل الحلول المطروحة الآن ..

قالت ( نشوى ) في صعوبة :

ـ أوافق .. أنا .. أوافق .

ضمها والدها إلى صدره في حنان مشفق ، وهو يقول :

ـ مسكينة أنت يا بنيتي .

هتفت ( مشيرة ) :

ـ لا وقت لهذه العواطف .. إننا نخسر بضعة أيام من عمرها ، مع كل لحظة نفقدها .. فلنسرع إلى مركز أبحاث



الفضاء .. لقد أجريت اتصالاتي ، وهم ينتظروننا هناك ، مع الدكتور ( ناظم ) .

قالت ( سلوى ) في تأثر :

ـ ( مشيرة ) .. لست أدري كيف ..

صاحت بها ( مشيرة ) :

ـ هيا يا ( سلوى ) .. لا وقت لهذا .. هيا يا ( نور ) .. إننا في سباق مع الزمن .

وكانت على حق ..

إنهم في صراع مع الزمن ..

صراع مميت ..

* * *

امتلأت نفس ( رمزي ) بالذعر ، وراح يصعد إلى أعلى في سرعة ، ويضرب بقدمه اليمنى تلك اليد ، التي تقبض على كاحله الأيسر ، حتى أتاه صوت ( محمود ) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يهتف :

ـ كفى يا ( رمزي ) .. كفى .. إنك تضربني أنا .

توقف ( رمزي ) في دهشة بالغة ، وهتف :

ـ ( محمود ) ؟!.. أهو أنت ؟!.. لماذا لم تخبرني منذ البداية ؟.. ولماذا أمسكت قدمي بغتة هكذا ؟!

أجابه ( محمود ) :

ـ لم أكن أرى شيئاً ، وعثرت على قدمك ، فأمسكت بها ، لتقودنى إلى الخارج ، وأنا أهتف معلناً شخصيتى منذ البداية ، ولكن يبدو أنك لم تسمعنى .

قال ( رمزى ) فى حيرة :

ـ إننى لم أسمعك بالفعل ، و ...

بتر عبارته بغتة ، فسأله ( محمود ) ، وقد بدا ذلك الحبر الداكن ، الذى خلفه الأخطبوط يتلاشى ، ويمتزج بالماء :

ـ ماذا حدث ؟

هتف به ( رمزى ) :

ـ ( محمود ) .. لقد تكرر هذا الأمر مرتين .. فى هبوطنا وصعودنا ، وانقطع اتصال بعضنا بالبعض ، فى نقطة بعينها .

صاح ( محمود ) :

ـ هذا صحيح .. هل يرشدك ذلك إلى شىء ما ؟

أجابه ( رمزى ) بلهفة :

ـ بالتأكيد .. هناك شىء ما ، يعوق إشارات الاتصال ، فى تلك النقطة .

صمت كلاهما لحظة ، انتابهما خلالها شعور بالرهبة ، ثم قال ( محمود ) :



ـ حسن .. دعنا نعد إلى هناك .

أجابه ( رمزى ) :

ـ فليكن .. ولكننا سنتبادل الإشارات فحسب ، عندما ينقطع الاتصال .

عادا يهبطان فى بطء ، وهما يتبادلان الحديث ، حتى انقطع الاتصال بينهما ، فأشار ( محمود ) إلى ( رمزى ) ، وراح كل منهما يضىء جدران الكهف بمصباحه ، بحثاً عن شىء ما .

وفجأة ، سرت فى جسديهما قشعريرة باردة .. فى لحظة واحدة ..

لقد رأيا ذلك المدخل الخفى ..

رأياه ، على الرغم من أنه يشبه إلى حد كبير جدران الكهف ..

ولكن ضوء المصباح كشف أمره ..

لقد انعكس على أطرافه بأكثر مما انعكس على جوانب الكهف الأخرى ..

فى انفعال واضح ، أشار ( رمزى ) إلى ( محمود ) ، ثم أخرج من جيبه جهازاً للعرض الهولوجرافى ، راح الاثنان يثبتانه أمام المدخل السرى ، ثم ضغط ( رمزى ) أحد أزراره ، وتراجع فى خفة ..

وبهدوء عجيب ، تكوّنت أمام المدخل السري صورة هولوجرافية مجسّمة لـ ( نشوى ) ، وانبعث صوتها عبر مكبّر صوتي خاص ، يعمل تحت سطح الماء ، وقالت :

- أنا هنا لخط الدفاع الثاني .

تعلّق بصر ( رمزي ) و ( محمود ) بالباب ، بعد تلك العبارة ، وتطلّعا إليه في لهفة وترقّب ..

كانت خطتهما تعتمد على خداع أجهزة المراقبة والحراسة للمدخل السري ، بحيث يبدو لها وكأن ( نشوى ) بنفسها هي التي تطالب بفتح الباب ..

ولم يكن من الممكن التنبوء بالنتائج ..

فهل تُخدع الأجهزة بالفعل ، وتستجيب لصورة ( نشوى ) الهولوجرافية ، وصوتها المسجّل ..

أو ترفض الاستجابة ..

وفي الحالة الثانية ، يعلم الله ( سبحانه وتعالى ) وحده ، ما قد يترتّب على هذا ..

هل يعمل جهاز دفاعي على تدميرهما ؟..

أم ينهار كل شيء ؟..

دارت عشرات الأسئلة في رأسيهما ، خلال اللحظات القصار ، التي انقضت بعد أن انتهى جهاز العرض الهولوجرافي من عمله ..



ثم جاءت الأجوبة ..

وفي بطء شديد ، انزاح المدخل السري جانبًا ، كاشفًا فجوة واسعة ، تتسع لهما معًا ..

وتردد الاثنان لحظة ، ثم أشار ( رمزي ) إلى ( محمود ) ، وسبح الاثنان إلى الفجوة في بطء ، وخفق قلباهما في قوة ، عندما رأياها تغلق خلفهما ، ثم يغرقان في ظلام دامس رهيب ..

وفجأة ، اشتعلت الأضواء ..

أضواء وردية باهتة ، أضاءت تلك الفجوة الواسعة ، من مصادر مجهولة ، وارتفع صوت عجيب ، يتحدث العربية ، وهو يقول :

- استعد أيها الوسيط البشري لمعادلة الضغط .

ومع نهاية العبارة ، راحت المياه تنساب في سرعة خارج الفجوة ، حتى شعر ( رمزي ) و ( محمود ) بأقدامهما تستقر على الأرض ، وأشار ( محمود ) بيده في انفعال ، محاولاً الإشارة إلى أن المكان قد خلا تمامًا من المياه ، فلوّح له ( رمزي ) بيده علامة الفهم ، في حين ارتفع ذلك الصوت العجيب مرة أخرى ، يقول :

- تمت معادلة الضغط ، والهواء صالح للتنفس .

أشار ( رمزي ) إلى ( محمود ) ، وخلع الاثنان

خطوتيهما في حذر ، ثم هتف ( محمود ) ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا من الهواء :

- رائع .. الأكسجين هنا صالح للتنفس تمامًا .. إنها تشبه حجرة معادلة الضغط ، في الغواصات وسفن الفضاء .

مع نهاية عبارته ، انفتح باب خلفي ، من الناحية الأخرى ، ليكشف أمامهما ممرًا قصيرًا ، مضاء بالضوء الوردي الباهت نفسه ، وفي نهايته قاعة صغيرة ، يستقر في منتصفها جسم كروي ، من مادة سميكة ، تشبه الزجاج ، ولكنها نصف معتمة ، وقال ( محمود ) في انفعال :

- هاهوذا الممر .

تقدم مع ( رمزي ) عبر الممر القصير في حذر ، حتى بلغا تلك القاعة ، وما إن وضعا أقدامهما داخلها ، حتى ارتفع في فراغها أزيز قوي ، وتكوّنت في سقفها صورة هولوجرافية لوجه أحد سادة الأعماق ، وهو يقول :

- عظيم أنك وصلت إلى هنا .. أيتها الوسيط البشري .. إنك خط دفاعنا الثاني ، للقضاء على مخلوقات الأرض ، في حال فشلنا في المهمة الأولى .. من المؤسف أنه لا توجد كمية كافية من عقار النمو ، سوى تلك التي نحتفظ بها في سفينتنا ، في أعماق المحيط .





وما إن وضعا أقدامهما داخلها ، حتى ارتفع في فراغها أزيز قوي ، وتكوّنت في سقفها صورة هولوجرافية لوجه أحد سادة الأعماق ..

هتف ( رمزى ) فى يأس :

ـ يا للخسارة !.. أتفعل كل هذا ، و ...

أشار إليه ( محمود ) أن يصمت ، وهو يستمع فى اهتمام إلى الرسالة ، التى تابعت :

ـ ومخلوقات الأرض لم تتوصل بعد إلى التكنولوجيا اللازمة ، للغوص إلى أعمق نقاط المحيط ، حيث سيستقر عقار النمو حتمًا ، فى حالة تدمير سفينتنا .. إننا نحتفظ به داخل وعاء خاص ، يمكنه احتمال انفجار هائل ، يفوق ما تعرفونه على أرضكم باسم الانفجار الذرى .. وهذه الكرة ، التى ترونها أمامك ، هى الوسيلة الوحيدة لبلوغ ما سيتبقى من عقار النمو الفائق ، فى حالة فشلنا .. استقلى تلك الكرة أيتها الوسيط البشرى ، وستنطلق بك على الفور إلى أعمق أعماق المحيط الأطلنطى ، وهنا استعيدى العقار ، واعملى على تدمير كل مخلوق حى ، على سطح الأرض .. إنه انتقامنا أيتها الوسيط الأرضى .. انتقامنا فى حالة الفشل .

ارتفع الأزيز القوى مرة أخرى ، فى فراغ القاعة ، ثم تلاشت الصورة الهولوجرافية تمامًا ، وانفتح باب جانبى فى الكرة نصف الشفافة ، وراح نداء يتردد باللغة العربية ، وبصوت عجيب للغاية :



ـ مستعد للإقلاع بعد نصف دقيقة .. تسع وعشرون ثانية .. ثمان وعشرون .. سبع وعشرون ..

هتف ( محمود ) :

ـ ماذا نفعل الآن ؟

صاح ( رمزى ) :

ـ ليس لدينا الخيار يا صديقى .. هذا الشىء سيقلع بعد أقل من نصف الدقيقة ، فإما أن نرحل معه ، أو نخسر كل شىء ..

هتف ( محمود ) فى توتر بالغ :

ـ إنه سيرحل بالتأكيد .. ولكن هل يعود بنا ، أم يتخلص منا ، بعد استعادته العقار ؟!

اتسعت عينا ( رمزى ) ، ولم يحر جوابًا ..

لقد كان هذا هو أصعب سؤال واجهه ، منذ وصل إلى هنا ..

أصعب سؤال على الإطلاق ..

* * *

غرس الدكتور ( ناظم ) إبرة المحقن الصغير فى عروق ( نشوى ) ، ودفع ذلك السائل الشفاف عبر دمائها ، ثم اعتدل مغمغمًا :

ـ يمكنكم بدء مرحلة التجميد المباشر .

سألته ( سلوى ) فى قلق :

- ما هذا العقار ، الذى حقنتها به ؟

أجابها الدكتور ( ناظم ) فى خفوت :

- إنه عقار خاص ، يساعد دماءها على الاستجابة للتجمد الفورى ، فالإنسان كما تعلمين ، من ذوات الدم الحار ، وهذا يعنى أن درجة حرارة دمه لا تتغير ، مهما تغيرت درجة حرارة الوسط المحيط به ، على عكس الحيوانات ذات الدم البارد ، التى يمكن تجميد دمائها فى سهولة( * ) ، ولو أننا حاولنا تجميد البشر مباشرة ، باستخدام النيتروجين السائل ، فإن خلاياهم تتجمد تماما ، فى حين تحافظ الدماء على درجة حرارتها ثابتة فى عروقهم ، مما يعرّضها للتجلط( ** ) ، ولقد كانت هذه هى العقبة الوحيدة ، أمام عملية التجميد الفورى للبشر ، ولبعض الحيوانات ذات الدم الحار ، مثل الثدييات والطيور ، ولكننا نجحنا أخيرا فى كشف ذلك العقار ، الذى يفقد الدم البشرى مؤقتا القدرة على المحافظة على ثبات درجات حرارته ، فيستجيب لانخفاض درجات الحرارة ، ويتجمد .

---

( * ) حقيقة علمية .

( ** ) حقيقة علمية .



غمغمت فى توتر :

- فهمت .

أشار بيده إلى معاونيه ، وقال :

- هيا .. ابدءوا .

لم يكد يشير إليهم ، حتى اندفع غاز كثيف ، داخل الأسطوانة الزجاجية ، التى ترقد فيها ( نشوى ) ، وكسى جسدها كله فى لحظة واحدة ، فشهقت ( سلوى ) هاتفة :

- ابنتى .

ضغط ( نور ) يدها فى رفق ، وهمس :

- تذكّرى .. هذا هو الحل الوحيد .

حاولت كتمان دموعها ، ولكنها هزمتها ، وانهمرت على وجهها كثيفة ، فضمها ( نور ) إلى صدره فى حنان ، وهو يغالب دموعه بدوره ، فى حين انفجرت ( مشيرة ) باكية ، وهى تهتف :

- إلى اللقاء يا ( نشوى ) .. إلى اللقاء يا عزيزتى .. كم أتمنى أن نلتقى ثانية ، عندما يجدون حلاً لمشكلتك .

بكت ( سلوى ) فى حرارة ، وهى تقول :

- هذا لو عاد ( رمزى ) و ( محمود ) .

انقبض قلب ( نور ) فى شدة ، وتفجّر فى أعماقه ذلك السؤال المخيف ..

ترى هل يعود ( رمزى ) و ( محمود ) ظافرين ؟.
بل هل يعودان على قيد الحياة فحسب ؟.
هل؟!.

* * *

لم يستغرق ( رمزى ) و ( محمود ) وقتًا طويلاً ، لاتخاذ القرار المناسب ، فقد اندفعا فى حزم نحو الكرة الزجاجية ، والحاسب الآلى يردد :

- عشرون ثانية .. تسع عشرة ثانية .. ثمان عشرة ثانية .

تهدج ( محمود ) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- ربما كانت هذه هى رحلتنا الأخيرة .

أجابه ( رمزى ) فى حسم :

- لو أنها آخر خطوة فى حياتى ، ولكنها تسهم فى إنقاذ ( نشوى ) ، فأنا أقدم حياتى كلها إليها ، عن طيب خاطر .

تطلع إليه ( محمود ) لحظة فى صمت ، ثم هز رأسه قائلاً :

- كم هى سعيدة الحظ بحبيب مثلك ؟

أجابه ( رمزى ) :

- بل قل : كم أنا سعيد الحظ بقلب رائع كقلبها .



انتبها إلى صوت الحاسب الآلى ، وهو يقول :

- أربع ثوان .. ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة .. ابدأ الرحلة .

وإثر النداء الأخير عاد باب الكرة شبه الزجاجية إلى موضعه فى رفق ، ثم انبعث من أعلاها ضوء أزرق ، راح يجوس وجهيهما فى بطء ، فغمغم ( محمود ) فى قلق :

- لو أن هذا الضوء يشبه ما لدينا ، فأخشى أن ..

قبل أن يتم عبارته ، اختفى الضوء الأزرق فجأة ، وارتفع صوت يقول :

- شخصية الوسيط البشرى غير مطابقة .. تسلل غير مسموح به .. انتقل إلى التدمير الذاتى مباشرة ، خلال دقيقة واحدة .

وانطلق أزيز قوى داخل الكرة ، وراحت تتألق فى سرعة ، بضوء أحمر زاه ، فصاح ( رمزى ) :

- يا إلهى !.. لقد وقعنا فى الفخ .

التصق ( محمود ) بجوار الكرة ، واتسعت عيناه فى هلع ..

نعم .. لقد وقعنا فى فخ ..

فخ قاتل .

* * *

# ٥ - الفخ ..

« عجباً !.. » .

غمغم الدكتور ( ناظم ) بالكلمة في دهشة بالغة ، ففجرت قلقاً بلا حدود ، في أعماق ( نور ) و ( سلوى ) ، وسأله ( نور ) في توتر شديد :

- ماذا هناك ؟.. ألا يسير كل شيء على ما يرام ؟

قال ( ناظم ) :

- المفروض أن يحدث هذا ، ولكن ...

هتفت ( سلوى ) منزعجة :

- ولكن ماذا ؟.. أفصح بالله عليك يا دكتور ( ناظم ) ، فترددك هذا يحطم أعصابي .

تردد الدكتور ( ناظم ) لحظات ، قبل أن يقول :

- الواقع هو أنه يوجد أمر عجيب ، في نتائج الاختبارات الحيوية ، لجسد ( نشوى ) المتجمّد . فالمفروض بعد تجمده ، أن تنخفض كل المعدلات الحيوية إلى درجة الصفر ، أو ما يزيد عليها بدرجة أو درجتين على الأكثر ، ولكن هذه النتائج تؤكد أن بعض أجهزة الجسم ما تزال تعمل بدرجة ما ، وعلى نحو يثير القلق .

سأله ( نور ) في انفعال :

- ألم يتم التجميد بصورة كاملة ؟



هزّ الدكتور ( ناظم ) رأسه في حيرة ، وهو يجيب :

- على العكس .. لقد تم التجميد على نحو متكامل ، وعلى الرغم من هذا ، فبعض الأجهزة تعطي إشارات إيجابية مرتفعة .

شحب وجه ( سلوى ) في شدة ، وهي تقول :

- هل يعني هذا أن ( نشوى ) في خطر ؟

قال في تردد :

- حتى الآن لا يوجد خطر واضح .. ولكن من يدري ؟.. كل ما نملكه هو الانتظار ، ورؤية ما ستسفر عنه الأمور .. فقط الانتظار .

ازداد شحوب وجه ( سلوى ) ، وهي تهتف :

- يا إلهي !

ثم انهارت بين ذراعي ( نور ) باكية ..

( نور ) ، الذي شعر في تلك اللحظة بأقسى شعور مرّ به في حياته ..

بالعجز ..

كأن يرى ابنته تعاني الخطر أمامه ، دون أن يجد وسيلة لإنقاذها ..

ما أسوأه من موقف ..

وما أبشعه من عجز وهوان !!..

وبكل مرارته ويأسه ، تمتم :

- ترى ماذا فعل ( رمزى ) و ( محمود ) حتى الآن ؟.

لم يجد ممن حوله جوابًا واحدًا ، وقد تعلقت عيون الجميع بجسد ( نشوى ) ، الذى تجمد تمامًا ، داخل أسطوانة زجاجية شفافة ، ودارت فى رءوسهم فكرة واحدة ..

ما مصير ( نشوى ) ؟..

وحتى هذه الفكرة ، ظلت بلا جواب ..

* * *

نبضت الدماء فى عروق ( محمود ) ، مع ذلك الأزيز القوى ، الذى تردد داخل الكرة شبه الزجاجية ، والتهبت أعصابه فى شدة ، مع الضوء الأحمر ، الذى يضىء وينطفئ فى تعاقب مزعج سريع ، فى حين تردد الصوت الآلى يقول :

- سبع وخمسون ثانية على موعد التفجير .. ست وخمسون ثانية .. خمس وخمسون ثانية ..

واصل الصوت عده التنازلى المخيف ، و ( محمود ) يهتف :

- انتهينا يا ( رمزى ) .. سقطنا فى الفخ .

صاح ( رمزى ) ، وهو ينتزع مسدسه الليزرى :



- هناك وسيلة حتمًا للخروج من هنا .

راح يطلق أشعة مسدسه عشرات المرات ، نحو باب الكرة شبه الزجاجية ، والصوت الآلى يواصل فى رتابة :

- أربعون ثانية .. تسع وثلاثون .. ثمان وثلاثون ..

انتزع ( محمود ) نفسه من ذعره وذهوله ، وصوب بدوره مسدسه الليزرى إلى الباب ، وأخذ يطلق أشعته فى سخاء ..

ومع انخفاض العد التنازلى ، توترت أعصابهما أكثر وأكثر ، وصرخ ( رمزى ) :

- هناك وسيلة حتمًا .

ثم استدار بكيانه كله إلى لوحة أزرار صغيرة ، ملتصقة بجدار الكرة ، وأخذ يضغط أزرارها فى سرعة ، وهو يهتف :

- أحد هذه الأزرار يحمل الحل .. حتمًا .

لم يستجب زر واحد لضغطاته ، فى حين ردد الصوت الآلى :

- ست وعشرون ثانية .. خمس وعشرون ثانية ..

فتراجع ( رمزى ) ، وصاح فى انفعال جارف :

- لابد من وجود وسيلة .

وفي غمرة غضبه ، صوّب مسدسه إلى لوحة الأزرار ، وأطلق عليها أشعة المسدس مرات ومرات ..

وفجأة ، انفتح باب الكرة شبه الزجاجية ، وصاح ( محمود ) :

ـ الباب يا ( رمزى ) .

اندفع الاثنان عبر الباب ، وانطلقا يعدوان نحو حجرة معادلة الضغط ، في حين تزايدت سرعة تألق الكرة شبه الزجاجية ، وارتفع الأزيز أكثر وأكثر ، والصوت الآلى يردد :

ـ سبع عشرة ثانية .. ست عشرة ثانية .. خمس عشرة ثانية ..

وضع كل منهما خوذته على رأسه ، وهتف ( رمزى ) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ كيف يتم إغلاق هذه الحجرة ؟

أشار ( محمود ) إلى لوحة أزرار أخرى ، إلى جوار مدخل حجرة معادلة الضغط ، وهو يقول :

ـ ربما يفعل هذا الشيء .

ثم اتجه نحو اللوحة في خطوات سريعة ، وضغط أحد الأزرار عشوائيًا ، مع استمرار الصوت الآلى :

ـ تسع ثوان .. ثمان ثوان .. سبع ثوان .. ست ثوان ..



لم يستجب الزر ، فانتقل ( محمود ) إلى زر آخر ، و ...

وفجأة ، انفتح الباب الآخر ..

الباب المطل على مياه المحيط ..

وصرخ ( رمزى ) :

ـ لقد فتحت الباب الخطأ يا ( محمود ) .

واندفعت المياه داخل الحجرة في عنف ، في نفس اللحظة التي كرّر فيها الصوت الآلى :

ـ ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة .. انفجير .

ودوى الانفجار ..

★ ★ ★

تطلع قبطان السفينة إلى ساعته في اهتمام ، قبل أن يقترب من حاجز السفينة ، ويستند إليه ، إلى جوار الدكتور ( حجازى ) ، قائلاً في خفوت :

ـ أمامهم نصف ساعة فحسب .

وافقه الدكتور ( حجازى ) بهمهمة خفيفة ، وإيماءة رأس ، دون أن يرفع عينيه عن سطح المحيط ، فداعب القبطان لحيته القصيرة ، وراوده إحساس بالذنب ، وهو يسأله :

ـ أمازلت تشعر بالقلق ، منذ أخبرتك بما يحدث هنا ؟

أجابه الدكتور ( حجازى ) :

- إنه أمر بالغ الخطورة بالفعل ، فليس من الطبيعي أن تصاب الحيوانات ، في بقعة دون غيرها ، بالوحشية والعدوانية .

نفض القبطان بقايا دخان غليونه ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تضع أثقالاً لا طائل منها ، على كاهل هذه الفكرة .. الأمر أبسط مما تتصوّر كثيرًا .. مجرد حيوانات بحرية بسيطة ، ترفض أن يمس الإنسان ألفه في منطقة نفوذها .. ثم إنه لم تحدث حوادث مميتة بعد .

قال الدكتور ( حجازى ) :

- ليست المشكلة فيما يحدث ، وإنما في سبب حدوثه .. ما هو ذلك الشيء ، الذي دفع الحيوانات البحرية إلى التحرّش بالبشر ، في منطقة بعينها .

رمقه القبطان بنظرة جانبية ، وهو يشعل غليونه ، ثم قال :

- ربما هو نفس الشيء ، الذي تبحثون عنه هنا .

كان يتوقّع رفضًا واستنكارًا من الدكتور ( حجازى ) ؛ لذا فقد أدهشه أن أجابه في شرود :

- هذا ما أخشاه .



عقد القبطان حاجبيه ، وهو يقول :

- أيمكنني اعتبار هذا القول اعترافًا ؟

التفت إليه الدكتور ( حجازى ) ، وقال في دهشة :

- بماذا ؟

نفث القبطان دخان غليونه ، وقال في صرامة :

- بأنكم هنا للبحث عن شيء ما .

بدا الضيق على وجه الدكتور ( حجازى ) ، وهو يقول :

- ولماذا تشغل رأسك بهذا الأمر .

هتف القبطان فجأة في حدة :

- أتظنني أجهل من أنتم ؟.. لقد رأيت صوركم من قبل ، في صحيفة مصرية .. أنتم فريق علمي .. فريق من المخابرات العلمية .. أليس كذلك ؟

هزّ الدكتور ( حجازى ) كتفيه ، وقال :

- ربما .

صاح القبطان في غضب :

- لا تراوغ يا رجل .

انعقد حاجبا الدكتور ( حجازى ) في شدة ، وهو يقول :

- ومن منحك حق إلقاء الأسئلة ؟.. لقد قبلت الحضور

إنى هنا ، مقابل أجر ، بالغت فى تحديده ، وحصلت على ما تريد ، وهذا لا يمنحك حق التجسس على أعمالنا ، أو دس أنفك فى شئوننا بفضول .

قال القبطان فى حدة :

- من قال هذا ؟.. القوانين البحرية تمنحنى حق معرفة كل ما يدور على سطح سفينتى ، وكل ما يحدث تحت الـ ...

بتر عبارته بغتة ، مع ذلك الارتجاج العنيف ، الذى أصاب السفينة ، فتأرجحت على سطح الماء فى شدة ، وفقد معظم من على سطحها توازنهم ، حتى القبطان والدكتور ( حجازى ) ، اللذين وجدا نفسيهما منبطحين أرضًا ، فهتف الأول :

- ماذا يحدث ؟

- هب الدكتور ( حجازى ) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

- رباه !.. ( رمزى ) و ( محمود ) .

وفى نفس اللحظة ، ارتفع صوت أحد البحارة ، يهتف :

- سقط أحد الرجال فى البحر .



اندفع القبطان نحو رجاله ، وهتف بهم ، وقد امتلأت نفسه بحماس العمل والقيادة :

- ألقوا طوق النجاة .

انتزع أحدهم طوق النجاة من مكانه ، وأسرع به نحو حاجز السفينة ، وهم بإلقائه إلى زميله ، الذى يصارع حالة الاضطراب ، التى نشأت فجأة فى المكان ، عندما اتسعت عيناه بغتة فى ذعر ، وصرخ :

- انظروا !!

لم يكن بحاجة فعليًا إلى هذا الهتاف ، فقد تعلقت عيون الجميع فى ذهول ، بسطح المحيط حول السفينة ، فى حين شهق الدكتور ( حجازى ) هاتفًا :

- يا إلهى !..

لقد تألق ضوء أحمر مبهر فى قلب المحيط ، بدا وكأن مصدره تحت السفينة مباشرة ، إذ صنع حولها دائرة ضخمة مضيئة ، تشبه بحرًا من الدم ، وانعكس الضوء الرهيب على الوجوه ، وصنع على جوانبها ظلالاً مخيفة ، جعلت القبطان يهتف بصوت مبحوح ، خنقه التوتر والانفعال :

- رباه !.. هل انفتحت أبواب الجحيم ؟!

أما البحار الذى سقط فى الماء ، فقد تولاه رعب هائل بلا حدود ، وراح يصرخ :

ـ النجدة .. النجدة .

أيقظهم ذعره من ذهولهم ، وعاد القبطان يصيح ، محاولاً السيطرة على انفعاله :

ـ ألق طوق النجاة .. هيا .

ألق البحار الآخر طوق النجاة لزميله ، الذى تشبث به فى لهفة شديدة ، وصاح القبطان فى لهجة آمرة ، أفرغ فيها عصبيته وتوتره :

ـ اجذبوا زميلكم إلى السطح .

جذب البحارة حبل طوق النجاة فى سرعة ، واقترب جسد زميلهم من جدران السفينة ، و ...

وفجأة برزت تلك السمكة الرهيبة ..

سمكة من أسماك القرش ، من نوع النمر ، ذات الأسنان الحادة القاتلة ..

برزت فجأة ، دون سابق إنذار ، وانقضت على البحار المسكين ، وأطبقت أسنانها على ساقه ..

وصرخ البحار المسكين فى ألم ورعب هائلين ، وصاح القبطان فى ارتياع :

ـ اجذبوه بسرعة .. ارفعوه إلى السطح .





ألقى البحار الآخر طوق النجاة لزميله ، الذى تشبث به فى لهفة .

قالها وهو يستل مسدسه ، ويطلق نيرانه على سمكة القرش ، التي تلقت الرصاصات في صمود ، وظلت تفترس ساق البحار المسكين ، الذي امتزجت دماؤه بذلك الضوء الأحمر المخيف ، الذي ينبعث من تحت الماء ، فصنعت مزيجًا رهيبًا ، والقبطان يصرخ :

ـ مستحيل .. مستحيل !

انطلقت رصاصاته مرة أخرى ، واخترقت رأس سمكة القرش ، التي انتفضت في قوة ، قبل أن تخمد حركتها تمامًا ..

ولكن هذا لم يعن الانتصار ..

إن هذه السمكة لم تكن في الواقع سوى البداية ..

فلجأة ، برزت عشرات من أسماك القرش ، من مختلف الأنواع والأحجام ، وانقضت كلها على البحار ، ومزقته إربًا في لحظات وجيزة ، والبحارة يصرخون في ارتياع ، من هول المشهد ، وأحدهم يهتف :

ـ إنه الجحيم .. الجحيم بعينه !

وتراجع القبطان أمام المشهد ، وهو يهتف بالدكتور ( حجازى ) :

ـ ماذا فعلتم ؟.. ماذا فعل رجلاك بالله عليك تحت الماء ؟



صاح الدكتور ( حجازى ) :

ـ بل قل : ماذا أصابهما ؟

صرخ القبطان :

ـ فليذهبا إلى الجحيم .. لقد فتحا أبوابه الآن ، وليغب جسداهما فيه .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتجت السفينة مرة أخرى في عنف ، فصاح :

ـ ماذا يحدث هذه المرة ؟

ـ أجابه أحد البحارة ، بصوت يملؤه رعب هائل :

ـ إنها أسماك القرش ، تهاجم السفينة في وحشية .

تدلى فك القبطان المطلى ، وهو يقول في ذهول :

ـ الأسماك تهاجم السفينة ؟!..

لم يكن قد رأى ، في حياته كلها ، ما يشبه هذا ، مما ملأ نفسه بالرعب والخوف ، وجعله يصيح في رجاله :

ـ ارفعوا المرساة .. سنرحل من هنا على الفور .

أمسك به الدكتور ( حجازى ) ، وقال في حدة :

ـ ماذا تقول ؟.. إننا لن نغادر هذا المكان ، دون ( رمزى ) و ( محمود ) .

صرخ القبطان ، وصوت ضربات أسماك القرش في السفينة يمتزج بصوته :

ـ دون من ؟!.. أمازلت تتوقع وجودهما على قيد الحياة ؟!.. أتظنهما ينجحان فى الوصول إلى هنا ، وسط ذلك الجحيم ؟!.. إن أسماك القرش تحيط بنا وتهاجمنا فى شراسة لم أر لها مثيلاً من قبل يا رجل ، والله ( سبحانه وتعالى ) وحده يعلم ما يمكن أن يحدث أكثر من هذا .. لا يا رجل .. لن أنتظر ثانية واحدة زائدة .

ثم التفت إلى رجاله ، وصرخ بهم مرة أخرى :

ـ ارفعوا المرساة .

أسرع الدكتور ( حجازى ) إلى حاجز السفينة ، وتطلع منه إلى سطح الماء ، وقلبه يخفق فى قوة وعنف ..

إنه الجحيم بالفعل ..

ترى ماذا حدث تحت الماء ؟!..

هل عثر ( رمزى ) و ( محمود ) على خط الدفاع الثانى ؟.

هل أصابهما مكروه ؟.

ارتطمت سمكة قرش بجسم السفينة ، تحته مباشرة ، فتشبث بالحاجز ؛ ليمنع نفسه من السقوط ، وصرخ :

ـ ( رمزى ) .. ( محمود ) .

كان يعلم أنه لن يحصل على جواب ، ولكن قلبه كان يرفض تماماً فكرة الرحيل ، وتركهما وسط كل هذا ..



صحيح أن القبطان على حق ، فى أن عودتهما شبه مستحيلة ..

ولكنه لن يتركهما ..

لن يتركهما أبداً ..

امتلأت نفسه بحزم لا مثيل له ، فاندفع نحو القبطان ، وصاح به فى صرامة :

ـ لن نرحل من هنا قبل عودتهما .

دفعه القبطان بعيداً ، وهو يصرخ فى وجهه :

ـ لقد أصابك الجنون حتماً !.. ألا ترى ما يحدث حولنا يا رجل .. إننا سنرحل عن هنا فى الحال .. سنرحل مهما قلت أو فعلت .

اندفع الدكتور ( حجازى ) نحوه مرة أخرى ، وانتزع منه مسدسه ، ثم تراجع يصوّبه إليه ، صائحاً :

ـ لن نرحل أيها القبطان ، وإلا أطلقت عليك النار .

انعقد حاجبا القبطان فى غضب هائل ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

ـ ستضطر لقتل الجميع إذن .

ومع آخر حروف كلماته ، انقض البحارة الثائرون

على الدكتور ( حجازى ) ، فى وحشية لم يسبق لها مثيل ..

لقد ألهب الموقف كله أعصابهم ، وباتت فى رءوسهم فكرة واحدة ، وهم يهاجمون الدكتور ( حجازى ) ، ويفرغون فيه شحنة توترهم ..

وهذه الفكرة هى قتله ..

قتله بلا رحمة .

* * *



# ٦ ـ بلا أمـل ..

شحب وجه الدكتور ( حاتم ) وهو يراجع ما أمامه من نتائج ، على شاشة الكمبيوتر ، وتمتم فى شىء من الهلع :

ـ مستحيل !

سألته ( سلوى ) ، وقد جفت دموعها ، على الرغم من حالة الانهيار الشديدة ، التى تمرّ بها :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟

هزّ الرجل رأسه فى حيرة شديدة ، وقال :

ـ عمرها مازال ينخفض .

انهارت ( سلوى ) فوق مقعدها ، وأجهشت بالبكاء دون دموع ، وهى تدفن وجهها فى كفيها ، هاتفة :

ـ لماذا ؟.. لماذا يا إلهى ؟

أما ( نور ) فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وإن لم ينبس ببنت شفة ، فى حين قالت ( مشيرة ) فى توتر بالغ ، وقد بدا وجهها أيضًا شاحبًا :

ـ ولكن كيف يحدث هذا ؟.. المفروض أن يتوقف هذا بعد تجميدها !

لوّح الدكتور ( حاتم ) بيده ، قائلاً :

ـ هذا ما يقوله العلم ، ولكن ما يحدث الآن حقيقى ،

ويخالف كل القواعد العلمية .. من الواضح أن تلك المادة أقوى مما نتصوّر بكثير .

سألته ( مشيرة ) :

- وماذا عن نتائج تحليلها ؟

هزّ رأسه في أسى ، قائلاً :

- المعامل فشلت في هذا تماما ، فالمقدار المتاح منها بالغ الضآلة ، والأجهزة المتوفرة تعجز عن تحليلها .

هتفت ( سلوى ) :

- ولكننا لن نقف عاجزين ، ونترك ابنتنا تتلاشى أمام أعيننا .

أجابها الدكتور ( حاتم ) :

- ( رمـزى ) و ( محمـود ) يقومـان بواجبهمـا يا سيّدتي ، ثم إن معدل انخفاض العمر يتناقص كثيرا ، بعد تجميد جسدها ، وربما يمنحنا هذا بوصين زائدين .

صاحت في مرارة :

- وماذا نفعل خلالهما ؟.. هل نجلس صامتين ، في انتظار النتائج ؟!.. لا يا دكتور ( حاتم ) .. لابد أن أفعل شيئا .. أي شيء .

أتاها صوت ( نور ) حازما صارما ، وهو يقول :

- أنا من ينبغي أن يفعل شيئا .



التفت إليه الجميع ، ورأوه معقود الحاجبين ، صارم النظرات ، وهو يستطرد :

- سأسافر فورا إلى ( أغادير ) ، حيث ( رمزى ) و ( محمود ) .

هتف به الدكتور ( حاتم ) :

- إنك بهذا تقتل نفسك .. ثم ما الذي ستفعله هناك ؟

أجابه في حسم :

- أنضمّ إليهما على الأقل .

ثم ضرب الحائط الذي يستند إليه بقبضته ، وأضاف في حنق مرير :

- المهم أن أفعل شيئا .. أي شيء .

قال الدكتور ( حاتم ) في قلق :

- رويدك يا ( نور ) .. قلت لك : إنك تقتل نفسك بهذا .

كان الألم يبدو بالفعل على ملامح ( نور ) ، ولكنه قال في حسم :

- فليكن .. سأذهب إلى هناك ، وليحدث ما يحدث .

اتسعت عينا ( سلوى ) في هلع ، وتجمّدت كلمة ما على شفتيها ، في حين قالت ( مشيرة ) في ارتياع :

- ( نور ) .. هناك خيط من الدم ، يسيل من بين شفتيك .

عندئذ فقط صرخت ( سلوى ) :
ـ يا إلهي !.. ( نور ) .. ماذا أصابك ؟
أراد أن يبث في نفسها الطمأنينة ، وأن ينتزع شيئًا من توترها وذعرها ، إلا أنه لم يكد يرفع يده ليتحدث إليها ، حتى انتابه دوار عنيف ، فتمتم في ضعف :
ـ ( سلوى ) .. إنني ..
غابت كلماته الباقية وسط دوامة مخيفة ، ابتلعت جسده كله ، وألقته وسط ظلام دامس رهيب ..
ظلام بلا قرار ..

* * *

انفتحت أبواب حجرة معادلة الضغط ، قبل ثلاث ثوان فحسب من الانفجار ، واندفعت المياه داخلها في عنف ، وصرخ ( رمزى ) :
ـ ابتعد عن الأبواب يا ( محمود ) .
حاول ( محمود ) أن يفعل هذا ، ولكن العد التنازلي انتهى ..
ودوى الانفجار ..
انفجار عجيب ، لا مثيل له قط على ظهر الأرض .
لقد بدا كأنه قنبلة من الضوء ، انفجرت بضغط هائل ، قذفت ( رمزى ) و ( محمود ) خارج المكان ، على الرغم



من قوة اندفاع المياه إلى الداخل ، ثم غمرت المكان كله بضوء أحمر مبهر ، يكاد يغشي الأبصار ..
وشعر ( رمزى ) بجسده يندفع خارجها ، ولكن ضغط المياه المندفعة نحوه خفف كثيرًا من سرعته ، وعلى الرغم من هذا فقد ارتطم بالجدار المقابل للكهف في عنف ، ثم ارتطم به جسم لين ، لم يلبث أن تبين أنه جسد ( محمود ) ، فتشبث به في قوة ، وأغلق عينيه أمام ذلك الضوء الأحمر المبهر ، وراح يدفع قدميه في الماء دفعًا ، ويجاهد للصعود إلى خارج الكهف ..
وفجأة ارتطمت به من الخلف عشرات الأجسام الرخوة ، ثم تجاوزته ، وانطلقت أمامه في هلع عجيب ، ثم تبعتها أجسام أكبر حجمًا ، أخذت تضربه في شراسة ، وتزيحه عن طريقها في حدة ، لتفر من المكان ..
واتسعت عينا ( رمزى ) في دهشة ..
إنه سرب كامل من حيوان الأخطبوط ..
سرب مختلف الأحجام والأشكال ، من حيوانات لا يزيد حجمها على حجم فأر صغير ، وحتى أخرى تتجاوز حجم حصان بالغ ..
وفي قوة ، سبح ( رمزى ) وسط سرب الأخطبوط ، وهو يحمل ( محمود ) ، حتى بلغ مدخل الكهف ، فابتعد



ثم ارتطم به جسم لين .. لم يلبث أن تبين أنه جسد ( محمود ) ، فتشبث به في قوة ، وأغلق عينيه أمام ذلك الضوء الأحمر المبهر ..

جانبًا ، وتوقف يراقب تلك الحيوانات البحرية الهاربة، مبهورًا ومأخوذًا ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد انتهى السرب بأخطبوط هائل ، ضخم الحجم ، يبلغ جسده وحده حجم فيل كبير ، في حين تمتد أذرعه الطويلة لمسافات كبيرة حوله ..

وفي صعوبة ، غادر الأخطبوط الضخم الكهف ، ثم فرد أذرعته عن آخرها ، وراح يدور حول نفسه كنجم بحر عملاق ..

وهنا فقط تمتم ( محمود ) :

ـ ماذا حدث ؟.. أين نحن ؟

أجابه ( رمزى ) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ لقد نجونا على الأرجح .

اعتدل ( محمود ) ، وهز رأسه في قوة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعني بعبارة ( على الأرجح ) ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى وقع بصره على تلك الأعداد الضخمة من الأخطبوط ، وعلى الأخطبوط الهائل ، الذي يرتفع في بطء إلى أعلى ، وسط خضم من الضوء الأحمر الرهيب ، فهتف في ارتياع :

ـ يا إلهي !.. أين نحن بالضبط ؟

أجابه ( رمزى ) فى مرارة :

ـ فى خانة الفشل .

سأله فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أطل الألم واضحًا من عينى ( رمزى ) وصوته ، وهو يجيب :

ـ لقد خسرنا الوسيلة الوحيدة للحصول على ما تبقى من عقار النمو ، ولم يعد هناك أمل فى إنقاذ ( نشوى ) ، من مصيرها المحتوم .

اتسعت عينا ( محمود ) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !

غمغم ( رمزى ) :

ـ نعم يا ( محمود ) .. خسرنا حياة ( نشوى ) .

ارتجف صوت ( محمود ) ، وهو يقول ، مشيرًا إلى بقعة ما ، خلف ظهر ( رمزى ) :

ـ وماذا عن حياتنا نحن ؟

التفت ( رمزى ) بسرعة ، إلى حيث يشير ( محمود ) ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر ..

لقد كان هناك سرب آخر ، يتجه نحوهما على نحو مخيف ..



سرب من الأسماك ..

أسماك القرش المفترسة ..

* * *

انقض البحارة على الدكتور ( حجازى ) فى غضب وشراسة ، وهم يطلقون صيحات ثائرة ، فتراجع هو فى حدة ، هاتفًا :

ـ تراجعوا وإلا ..

قبل أن يتم عبارته ، كان أحدهم قد ركل مسدسه من يده ، فى حين أمسك آخر معصمه الأيسر ، ودفعه ثالث نحو حاجز السفينة ، وهو يصرخ :

ـ ماذا تفعلون ؟!.. لسنا فى عالم وحشى .. أنتم بشر .. تذكروا هذا .

ولكنهم ألصقوا ظهره بحاجز السفينة ، وصاح بعضهم :

ـ ألقوه فى الماء .. إنه يستحق هذا .

كبلوا حركته تمامًا ، وحمله اثنان منهما من قدميه ، وهو يصرخ :

ـ عودوا إلى رشدكم .. كفوا عن هذه الوحشية .

لم يلق صياحه صدى فى نفوسهم ، وسط هذا الخضم من الانفعالات ، وحملوه ليلقوا به فى المحيط ، و ...

وفجأة تجمدت الدماء في عروقهم ، وهم يحدقون في تلك العين الرهيبة ، التي راحت تتطلع إليهم في برود صامت ..

عين الأخطبوط العملاق ..

وللحظات ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، حتى ارتفعت إحدى أذرع الأخطبوط من تحت الماء ، والتفت بممصّاتها القوية حول وسط أحدهم ..

عندئذ فقط انطلقت صرخاتهم ، وراحوا يعدون مبتعدين ، وتركوا الدكتور ( حجازى ) يسقط ، فانبطح على وجهه ، على سطح السفينة ..

وكان هذا من حسن حظه ..

لقد تحرك الأخطبوط العملاق بوحشية غير معهودة في بني جنسه ، وراح يلف أذرعه العديدة حول أجساد البحارة ، وينتزعهم عن السطح ، ثم يغوص بهم في الأعماق ..

وفي ذهول ، تراجع القبطان ، متمتمًا :

ـ ماذا فعلنا ؟!.. ماذا يحدث هنا ؟

صرخ به الدكتور ( حجازى ) :

ـ احترس .

ولكن القبطان ارتطم بحاجز السفينة ، ومال جسده إلى



الخلف على نحو بالغ الخطورة ، وغمر الضوء الأحمر ظهره ، وهو يهتف :

ـ لا .. النجدة .. النجدة .

اندفع الدكتور ( حجازى ) لإنقاذه ، ومد يده يمسك به ، قائلاً :

ـ أعطني يدك .

تشبث القبطان بيده ، ولكن هذا لم يمنع سقوطه ..

لقد اختل توازنه تمامًا ، فهوى من فوق الحاجز ..

وفي سقطته ، جذب معه الدكتور ( حجازى ) ، الذي اتسعت عيناه في ارتياع ، عندما رأى نفسه يهوى في المحيط ..

وسط دائرة الضوء الأحمر ..

ووسط أسماك القرش الثائرة ..

* * *

اندفعت أسماك القرش المفترسة ، بكل شراستها ووحشيتها ، نحو ( محمود ) و ( رمزى ) ، فهتف الأول في هلع :

ـ أنجونا من الانفجار ، لنلقى حتفنا بأسماك القرش ؟!

قال ( رمزى ) في حزم :

ـ دعنا لا نستسلم ببساطة إذن .

انتقل كل منهما مسدسه ، وأطلقا أشعتيهما على أقرب أسماك القرش إليهما ..

وأصابت الأشعة أسماك القرش ، وفجّرت الدماء من جسدها ..

وقلبنا خط سير الهجوم ..

لقد نسيت الأسماك الأخرى كل ما يخص ( محمود ) و ( رمزى ) ، وانقضت بكل وحشيتها على الأسماك المصابة ، تلتهمها التهاما ، وتمزقها إربا ، وقد أثارتها رائحة الدم ..

وهتف ( رمزى ) :

- نعم .. هذا صحيح .. كيف لم أتذكره منذ البداية .. أسماك القرش شديدة الشراهة لرائحة الدم ، وستنشغل عنا بالتهام صاحباتها .

سأله ( محمود ) :

- وماذا نفعل الآن ؟.. هل ننتظرهم حتى ينتهوا ، ويتفرغوا لنا .

أجابه ( رمزى ) :

- بل نعود إلى السفينة .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم غمغم ( محمود ) :

- وما رأيك في العودة إلى الكهف ؟!



سأله ( رمزى ) في دهشة :

- إلى الكهف ؟!.. ولماذا نفعل ؟!

أجابه ( محمود ) في حزم :

- نحاول التشبث ، ولو بأمل ضئيل .

قالها وسبح في هدوء نحو الكهف ، على الرغم من الضوء الأحمر المبهر ، الذي ينبعث منه ، فلحق به ( رمزى ) ، وهو يتمتم :

- أنت على حق .. ليس من المفروض أن نفقد الأمل قط .

وعلى الرغم من قوله هذا ، كان يتبعه بلا هدف .. وبلا أمل ..

* * *

# ٧ ـ وسط الخطر ..

لم يدر الدكتور ( حجازى ) ، لماذا بدت له تلك المسافة ، ما بين سقوطه من السفينة ، وارتطامه بمياه المحيط ، أشبه بدهر كامل ..

ربما لأنه تذكر خلالها كل ما فعله ، فى حياته كلها ..

كل أعماله ..

كل آماله ..

كل أخطائه ..

كان مقتنعًا على موت محتوم ، لا أمل فى النجاة منه قط ، مع تلك الأسماك المتوحشة ، التى تجوب المنطقة فى شراسة لا مثيل لها ، متعطشة لأصغر نقطة دم ، وعلى الرغم من هذا فقد هتف بكل قوته :

ـ ساعدنى يا إلهى !

ومع آخر حروف الهتاف ، ارتطم جسده بالماء البارد ، وغاص فيه مع القبطان لمترين أو يزيد ، قبل أن يدفع كل منهما الماء بقدميه وذراعيه ، صعودًا إلى السطح ..

ومع أول هواء يستنشقانه ، صاح القبطان :

ـ لا فائدة .. إنها النهاية .

وهوى قلب الدكتور ( حجازى ) بين قدميه ، عندما رأى سمكة قرش ضخمة تندفع نحوهما ، وأسنانها الحادة الكبيرة تبرز على نحو مخيف ..



ولكن فجأة اختفى ذلك الضوء الأحمر الرهيب ..

اختفى دفعة واحدة ، وكأنما لم يكن قط ..

ومع ذلك الاختفاء المفاجئ ، توقفت الأسماك والمخلوقات البحرية كلها ، وذهبت وحشيتها الزائدة فى لحظة واحدة ..

وهتف الدكتور ( حجازى ) :

ـ لقد نجونا .. إنها معجزة .. لقد نجونا .

رأى السمكة المتخمة بأجساد البحارة تستدير ، وتضرب الماء بذيلها ، ثم تنطلق مبتعدة ، وكأنما تفر بجلدها من ذلك المكان الرهيب ، الذى شهدت فيه ما لم تشهده من قبل ..

ولم تكن وحدها ..

كل المخلوقات الأخرى غاصت فى الماء ، واختفت ..

حتى الأخطبوط العملاق ..

وساد هدوء عجيب مباغت ..

هدوء لم يكن يقطعه سوى صوت الأمواج الضعيفة ، وهى ترتطم بجانب السفينة فى رفق ..

لقد انتهى كل شىء على نحو عجيب ، وكأنما لم يبدأ قط ..

وبصوت مختنق ، يموج بالانفعال ، قال القبطان :

- ماذا حدث ؟!

أجابه الدكتور ( حجازى ) :

- لقد نجونا .. هذا كل شىء .

قال القبطان فى حيرة متوترة :

- ولكن ماذا أصاب تلك المخلوقات ؟.. بل ماذا أصابنا جميعًا ؟

أجاب الدكتور ( حجازى ) ، وهو يشير للبحارة الباقين ؛ لإلقاء طوقى نجاة :

- من الواضح أن تلك الأشعة الحمراء ، التى انبعثت من تحت الماء ، تحفز كل الميول العدوانية ، فى أعماق كل كائن حى .

هتف القبطان ، وهو يتعلق بطوق النجاة الخاص به :

- ولكن لماذا ؟

أجابه الدكتور ( حجازى ) ، والبحارة يجذبونهما إلى السطح :

- هذا السؤال يحتاج إلى خبير بالأشعة .

ثم بدا الحزن على وجهه ، وهو يشير إلى الماء ، مستطردًا :

- وخبير الأشعة الوحيد هنا ما يزال فى الأعماق .



ورفع عينيه ، مضيفًا فى مرارة :

- وقد يبقى فيها إلى الأبد .

* * *

هبط ( محمود ) و ( رمزى ) مرة أخرى إلى الكهف ، وسط ذلك الجحيم الأحمر الرهيب ، وراحا يسبحان نحو المدخل السرى ، حتى عثرا عليه ، وقد تحطم بابه ، وغمرت المياه المكان كله ، حيث مصدر ذلك الضوء الدموى المبهر ، وغمغم ( محمود ) ، وهما يتجهان نحو القاعة ، التى كانت تحوى الكرة شبه الزجاجية :

- وكأننا نغوص فى قلب الجحيم .

أجابه ( رمزى ) :

- يبدو أننى أشاركك الشعور نفسه ، فأطرافى ترتجف ، على الرغم منى ، كلما اقتربنا أكثر وأكثر .

سبحا عبر الضوء المبهر ، حتى بلغا القاعة ، وقال ( محمود ) :

- انظر .. هذا هو مصدر الضوء .

كانت الكرة شبه الزجاجية قد اختفت ، وتبقت منها بضع شظايا متناثرة ، فى حين تألق فى سقف القاعة شىء أشبه بمصباح مستدير ، يشع ذلك الضوء المخيف ، وأشار ( رمزى ) إلى الجدران ، قائلاً :

- انظر يا ( محمود ) .. كل شيء يذوب .. يبدو أن هذا هو عمل المصباح الأحمر .. إنه يذيب كل شيء ، حتى لا يتبقى أدنى أثر لخط الدفاع الثاني .

تمتم ( محمود ) :

- يا لها من خطة محكمة !.. في البداية يحدث الانفجار ، وينسف الأجهزة ، ويحيلها إلى مجرد شظايا ، وبعدها يعمل ذلك المصباح العجيب على إذابة هذه الشظايا ، ومحو أدنى دليل .

هتف ( رمزى ) فجأة :

- انظر هناك .. إنها بقايا خريطة .

ثم اندفع إلى حيث أشار ، مستطردًا في انفعال :

- لقد كنت على حق يا ( محمود ) .. ما يزال هناك أمل .

صاح به ( محمود ) :

- احترس يا ( رمزى ) ، لا تلمس ذلك المصباح .

ولكن ( رمزى ) اقترب أكثر وأكثر ، والتقط بقايا الخريطة في لهفة ، وهو يقول :

- نعم .. إنها بقايا خريطة .

وفجأة شعر وكأنه يسبح بالفعل في قلب الجحيم ..



لقد ارتفعت حرارة جسده في شدة ، كما لو كان يحترق ، فهتف :

- النجدة .. النجدة يا ( محمود ) .

ولم يتردد ( محمود ) لحظة واحدة ..

لقد اندفع نحو رفيقه ، وجذبه من قميصه إلى الخلف ، ثم سبح عكسيًا ، مبتعدًا عن ذلك المصباح العجيب ، وهو يقول في توتر :

- تماسك يا ( رمزى ) .. تماسك يا صديقي .. سنغادر هذا المكان اللعين بأقصى سرعة .

ولكنه لم يتلقَ جوابًا ، فهتف :

- ( رمزى ) .. ماذا بك ؟

انتبه في هذه اللحظة فقط ، إلى أن ( رمزى ) فاقد الوعي ، فسبح بسرعة أكثر ، وهو يقول :

- رباه !.. ماذا أصابه ؟

وصل بسرعة إلى مدخل الكهف ، ثم سرت في جسده قشعريرة رهيبة ، عندما لمح سرب أسماك القرش ، الذي انتهى من التهام الأسماك المصابة ، وراح يبحث عن فريسة جديدة ، فتمتم في توتر :

- يا إلهي !.. نسيت أمر هذه الأسماك .

وبسرعة أخرج مسدسه ، وهو يستطرد :

- إذن فقد انتهيت من وليمتك .. هاك إذن وليمة جديدة .

وأطلق أشعة المسدس على عدد من الأسماك ، فانقضت عليها الأسماك الأخرى فى وحشية وشراهة ، وغمغم هو ، وهو يعيد المسدس إلى غمده :

- هيا .. انشغلى بالتهام شقيقاتك ، ريثما أصعد أنا إلى السطح .

حمل جسد ( رمزى ) الفاقد الوعى فى اهتمام بالغ ، واندفع محاولاً الصعود إلى السطح ..

ولكن ..

لقد تعلقت قدمه ببعض الأعشاب المرجانية السميكة ، عند مدخل الكهف ، واشتبكت بها فى شدة ، فهتف :

- اللعنة .. لم يعد ينقصنى سوى هذا .

لم يكد ينطق العبارة ، حتى رأى أمامه ذلك الوحش .. أخطبوط كبير ، تطلع إليه لحظة بعينيه الواسعتين الكبيرتين ، ثم لف ذراعه ذات الممصات الضخمة حول وسطه بغتة ، فصرخ ( محمود ) :

- اتركنى أيها الغبى .





وأطلق أشعة المسدس على عدد من الأسماك ، فانقضت عليها الأخرى فى وحشية وشراهة ..

ولكن الأخطبوط ظل يتطلع إليه بنظرته الباردة الخاوية ، وذراعه تعتصره ..

وتعتصره ..

وتعتصره ..

* * *

« ( نور ) .. حمداً لله على سلامتك .. » .

نطقت ( سلوى ) هذه العبارة في لهفة ، عندما استعاد ( نور ) وعيه ، في المستشفى المركزي ، فتطلع إليها بنظرة خاوية ، وهو يسألها :

ـ كم بقيت فاقد الوعي ؟

أجابته مشفقة :

ـ ساعة واحدة فحسب .

سألها في تهالك :

ـ وكيف حال ( نشوى ) ؟

ترقرقت عيناها بالدموع ، وهي تقول :

ـ مازال عمرها ينخفض .

سألها في مرارة :

ـ كم بلغ عمرها الآن ؟

أجابت متألمة :

ـ عامين ونصف .



هتف في هلع :

ـ يا إلهي !

وحاول أن يغادر فراشه ، وهو يستطرد :

ـ لابد لي من عمل شيء .. أي شيء .

صاح به طبيبه :

ـ رويدك أيها الرائد .. إننا لن نعيد الموقف مرة أخرى .. لقد كدت تقتل نفسك بالفعل .

تحسس ( نور ) بطنه ، قائلاً :

ـ هل انفتح الجرح مرة أخرى ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، وقال :

ـ ليس هذا وارداً ، في جراحات الليزر ، ولكنك أرهقت نفسك بشدة ، قبل أن تستعيد صحتك .

نهض ( نور ) ، قائلاً :

ـ فليكن أيها الطبيب .. أعدك أن أحصل على قسط طويل من الراحة فيما بعد ، عندما تنتهي هذه المشكلة . أما الآن فحياة ابنتي في خطر بالغ ، ولن أتخلى عنها بهذه السهولة ، مهما كان الثمن .

قال الطبيب في حنق :

ـ ولكنك لا تملك ما تفعله ، حسبما أعرف .

بدا الضيق على وجه ( نور ) ، وهو يقول :

- من يدرى ؟.. ربما .

قالت ( سلوى ) مشفقة :

- ( نور ) .. أرجوك .. ابق فى فراشك ، مادام من غير الممكن أن ..

قاطعها فى حزم :

- سأذهب يا ( سلوى ) .

ثم اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يستطرد :

- لن أجلس هنا ساكنا ، وابنتى تقترب من موت محتوم .. لن يمكننى هذا أبدًا يا ( سلوى ) .

كانت تدرك جيدًا أنه من المستحيل منعه من العمل من أجل ابنته ، حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها ..

لذا فقد لحقت به ، وقالت وهما يتجهان نحو سيارته الصاروخية :

- سأقود أنا .

تركها تحتل مقعد القيادة ، وجلس إلى جوارها صامتًا ، وهى تنطلق نحو مركز أبحاث الفضاء ، حيث يرقد جسد ابنتهما متجمدًا ، وتركه قلبه يبكى بدموع من دم فى أعماقه ..

إنه لن يستسلم لهذا المصير ..

لن يستسلم أبدًا ..

* * *



كان كل شىء يوحى بأنها النهاية لا ريب ..

الشعاب المرجانية ، تقبض على قدمه ، وذراع الأخطبوط تعتصر جسده ، و ( رمزى ) فاقد الوعى تمامًا بين ذراعيه ..

ولكن فجأة تبدل كل شىء ..

فجأة ، اختفى الضوء الأحمر ، وتلاشى تمامًا ..

ومع تلاشيه ، تراجع الأخطبوط بغتة ..

حل ذراعه من حول جسد ( محمود ) ، ثم انطلق مبتعدًا فى سرعة مدهشة ، وتبعه سرب أسماك القرش ، وكل المخلوقات البحرية الأخرى ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان المكان هادئًا ساكنًا ، على نحو لا يوحى أبدًا بأنه كان ساحة قتال عنيفة منذ قليل ..

وأطلق ( محمود ) تنهيدة قوية ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. مازال هناك أمل .

حاول تخليص قدمه من الشعاب المرجانية فى صعوبة ، دون أن يتخلى عن ( رمزى ) ، ولكنه شعر فجأة باختناق إلى حد ما ، فتطلع بسرعة إلى ساعته ، واتسعت عيناه فى هلع ..

لقد نفد مخزون الأكسجين ..

نفد عن آخره ..

* * *

تنهد القبطان في عمق ، وهز رأسه في أسف ، وهو يقول :

ـ لا فائدة .. لقد مضى الوقت ..

سأله الدكتور ( حجازى ) ، وجسده كله يرتجف هلعًا :

ـ هل تعنى أنهما ..

لم يستطع إكمال العبارة ، ولكن القبطان فهم ما يعنيه ، وتمتم :

ـ للأسف .

ثم أطلق زفرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ـ هيا .. سنرحل الآن .

قال الدكتور ( حجازى ) مذعورًا :

ـ ألا يمكننا البقاء لفترة أخرى .

هز القبطان كتفيه ، وقال :

ـ وما الفائدة ؟! لقد نفد مخزون الأكسجين لديهما حتمًا ، ومن المستحيل أن ...

قاطعته صرخة أحد البحارة :

ـ ها هما ذان .

اندفع الدكتور ( حجازى ) والقبطان إلى حاجز السفينة ، وخفق قلب الأول في قوة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. ها هما ذان .. لقد نجوا .



كان ( محمود ) و ( رمزى ) قد صعدا إلى السطح ، و ( محمود ) يمسك ( رمزى ) الفاقد الوعى ، وينتزع عنه خوذته ، ويصارع المياه في إصرار ، هاتفًا :

ـ ألقوا طوق نجاة .. أسرعوا .

وثب بعض البحارة في الماء ، مع أطواق النجاة ، ونجحوا في انتشالهما ، وحملهما إلى سطح السفينة ، حيث استقبلهما الدكتور ( حجازى ) في حرارة ، وهو يهتف :

ـ ( محمود ) ، ( رمزى ) .. لقد أصبتمانا بالرعب .. خشينا أن ينفد الأكسجين منكما ، وتختنقا في القاع .

رقد ( محمود ) ( رمزى ) أرضًا ، وهو يقول في توتر :

ـ كاد هذا يحدث بالفعل . فقد أمسكت بعض الشعاب المرجانية بقدمى ، ولم أستطع التخلص منها ، إلا باستخدام مسدس الليزر ، في اللحظة الأخيرة .

هتف الدكتور ( حجازى ) في جزع :

ـ ولكن ماذا أصاب ( رمزى ) ؟

أجابه ( محمود ) :

ـ لقد فقد الوعى .. سأخبرك فيما بعد كيف حدث هذا .. المهم الآن أن نسعفه بأقصى سرعة .

نزع البحارة عن ( رمزى ) ثياب الغوص ، وهتف القبطان :

ـ يا إلهى !.. لقد تعرّض لحروق شديدة .

سأل الدكتور ( حجازى ) ، وهو يفحص حروق ( رمزى ) :

ـ ما الذى فعل به هذا ؟

غمغم ( محمود ) فى توتر :

ـ مصباح أحمر صغير .

خيّل للقبطان أنه لم يسمع العبارة جيدًا ، فسأل فى دهشة :

ـ مصباح ماذا ؟!

قال ( محمود ) فى عصبية :

ـ فيما بعد .. سنناقش هذا فيما بعد .

كان ينتزع ثوب الغطس ، عندما انفتحت أصابع ( رمزى ) فجأة ، وسقطت منها رقعة من مادة تشبه جلود الثعابين ، وتحوى بعض الخطوط والرسوم ، فقال القبطان :

ـ ما هذا ؟

تألقت عينا ( محمود ) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !.. لقد أحضرها معه .



سأله الدكتور ( حجازى ) :

ـ ما هذه التى أحضرها معه يا ( محمود ) ؟

التقط ( محمود ) بقايا الخريطة فى حذر ، وهو يقول :

ـ الأمل يا دكتور ( حجازى ) .. الأمل فى إنقاذ ( نشوى ) .

وقبض أصابعه على البقايا ، وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

ـ الأمل الأخير .

وربما كان على حق .

* * *

## ٨ ـ مرة ثانية ..

ـ لقد بذلنا قصارى جهدنا يا ( نور ) .. أقسم لك ..

نطق ( محمود ) هذه العبارة في حرارة شديدة ، وهو يقف أمام سرير ( نور ) في المستشفى ، فأخفت ( سلوى ) وجهها بين كفيها ، في حين غمغم ( نور ) في مرارة :

ـ لست بحاجة إلى القسم يا ( محمود ) ، أنا واثق من أنك و ( رمزي ) قد بذلتما قصارى جهدكما ، ولكنه خطئي أنا .

رفعت ( سلوى ) عينيها إليه في ذعر ، في حين سأله ( محمود ) في دهشة :

ـ ماذا تعني بهذا ؟

أجابه في أسى :

ـ كان المفروض أن أستنتج هذا ، فمن الطبيعي أن يتخذ سادة الأعماق الاحتياط اللازم ، حتى لا يصل الشخص الخطأ إلى خط دفاعهم الثاني .

قال ( محمود ) :

ـ ولكنك لم تكن في حالة تسمح بهذا يا ( نور ) .

تنهد ( نور ) في إحباط ، وهو يقول :

ـ للأسف .

ثم نهض من فراشه ، واستطرد :



ـ مسكينة هي ( نشوى ) .. عمرها يتقلص أمام أعيننا في سرعة ، ونحن عاجزون عن منع هذا ، وإنقاذ حياتها .

واعتدل بغتة ، ليسأل ( محمود ) :

ـ كيف حال ( رمزي ) الآن ؟

كان ( محمود ) يعلم أنه يحاول الخروج من حالة الإحباط النفسي ، التي سيطرت عليه ، فأجاب في سرعة :

ـ بخير إلى حد ما ، فقد عالج الأطباء حروقه السطحية ، ولكنه مايزال فاقد الوعي ، وإن أعلنوا أن حالته مستقرة .

غمغم ( نور ) :

ـ حمداً لله .

أجهشت ( سلوى ) بالبكاء دفعة واحدة ، وقالت في مرارة :

ـ لماذا هي دائماً ؟.. لماذا تُصب عليها العذاب ، في كل مرة نواجه فيها واحداً من تلك المواقف الرهيبة ؟

قال ( نور ) في خفوت :

ـ إنه قدرها .

هتف ( محمود ) في حماس :

ـ ولكننا لن نستسلم .. مازال هناك أمل أخير .. بقايا الخريطة .

التقى حاجبا ( نور ) ، وهو يسأله :

ـ أية خريطة ؟

أجاب ( محمود ) في انفعال :

ـ إنه جزء من الخريطة ، التي تقود إلى حيث ترقد آخر كمية من عقار النمو ..

لقد التقطه ( رمزي ) وتشبث به ، حتى بعد أن فقد وعيه .

امتلأت نفس ( نور ) بالأمل ، وهتفت ( سلوى ) :

ـ لماذا لم تقل هذا من قبل ؟

أما ( نور ) ، فسأله :

ـ وأين بقايا الخريطة الآن ؟

أجاب ( محمود ) ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة :

ـ لقد سلمتها إلى الدكتور ( ناظم ) ، وكل خبراء الكمبيوتر والخرائط يقومون بفحصها الآن ، ومحاولة فك رموزها ، وتحديد موقع العقار .

قال ( نور ) في انفعال :

ـ رباه !.. إذن فهناك أمل أخير .





أجاب ( محمود ) ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة :

ـ لقد سلمتها إلى الدكتور (ناظم) ، وكل خبراء الكمبيوتر ..

ارتفع فى هذه اللحظة صوت دقات خافتة ، على باب الحجرة ، فقال ( نور ) :

ـ ادخل .

دلف الدكتور ( حاتم ) إلى الحجرة ، وهو يقول :

ـ كيف حالك الآن يا ( نور ) ؟

سأله ( نور ) :

ـ بل كيف حال ( نشوى ) ؟

صمت الدكتور ( حاتم ) ، وهو يتطلّع إليهم فى تردد ، فقالت ( سلوى ) فى حدة :

ـ لا تفعل هذا بالله عليك .. أخبرنا ما لديك على الفور .

أجاب فى توتر :

ـ لقد انخفض عمرها مرة أخرى .

رددت ( سلوى ) فى ارتياع :

ـ انخفض ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابا ، وقال فى أسف :

ـ إنها فى الثانية من عمرها الآن .

شهقت ( سلوى ) فى لوعة ، فى حين هتف به ( نور ) :

ـ أما من وسيلة لإيقاف هذا ؟



تردد الدكتور ( حاتم ) لحظات ، ثم أجاب فى خفوت :

ـ لقد ناقشت هذا الأمر مع ( مشيرة ) ، ومع علماء مركز الأبحاث الفضائية ، ووجدنا أنه هناك أسلوب وحيد يمكن تجربته .

سألته ( سلوى ) فى لهفة متوترة :

ـ ما هو ؟

صمت لحظة ، بدت لهم كالدهر ، قبل أن يجيب :

ـ سنعمل على تجميدها مرة أخرى .. هذا هو الأمل الوحيد .

وخفق قلب ( سلوى ) فى عنف ..

* * *

تحرّك الدكتور ( ناظم ) فى سرعة واهتمام ، داخل قسم الأبحاث ، فى إدارة المخابرات العلمية ، وسأل أحد العلماء فى قلق :

ـ كيف حال بقايا الخريطة ؟.. هل توصلتم إلى شيء بشأنها ؟

أجابه الرجل فى حماس :

ـ أعتقد هذا .. إنها تحوى ستة رموز غامضة ، ولكننا تمكنا من حل ثلاثة منها حتى الآن ، ونعتقد أن أحد الرموز الثلاثة الباقية هو خط العرض .

سأله الدكتور ( ناظم ) :

ـ وماذا عن خط الطول ؟

هزّ الرجل رأسه ، وهو يقول :

ـ لقد توصلنا إليه .. هاهوذا .

التقط الدكتور ( ناظم ) الورقة ، التى ناوله إياها العالم ، واتجه نحو خريطة ضخمة ، تحتل حائطا بأكمله ، وقال :

ـ كما توقعت تماما .. خط الطول يعبر المحيط الأطلنطى .

راح يراقب الخريطة بضع لحظات ، حتى هتف به العالم :

ـ أظننا حصلنا على خط العرض .

هتف به الدكتور ( ناظم ) ، بنفس الحماس :

ـ ما هو ؟

أخبره العالم بالرقم ، فأسرع الدكتور ( ناظم ) يبحث عنه على الخريطة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ نعم .. أظننا توصلنا إلى الموقع المنشود .

قال العالم فى حرارة :

ـ وفى وقت قياسى .. إنه إنجاز عظيم على كل المستويات .



أومأ الدكتور ( ناظم ) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن .. هل يمثل فائدة حقيقية ؟

همّ العالم بالاعتراض ، إلا أن بصره وقع على الموقع ، الذى أحاطه الدكتور ( ناظم ) بدائرة حمراء ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وألقى على نفسه السؤال ذاته ..

هل يمثل الموقع فائدة حقيقية ؟..

هل ؟

* * *

بدا التوتر على وجوه الجميع ، وهم يقفون أمام الحاجز الزجاجى ، الذى يفصلهم عن حجرة التجميد ، وغمغم الدكتور ( حاتم ) ، فى قلق ملحوظ :

ـ إنها أول مرة نفعل فيها هذا ، والجميع يشعرون بشىء من الحيرة والارتباك .

قال ( نور ) فى خفوت :

ـ أمر طبيعى .

أما ( سلوى ) ، فأمسكت سترتها ، عند موضع القلب ، وكأنها تحاول إيقاف ذلك الخفقان القوى السريع ، الذى حمل كل قلقها وانفعالاتها ، ولاذت بالصمت التام ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وتعلق بصرها بالأسطوانة الزجاجية الشفافة ، التى ترقد بداخلها ابنتها ، وسمعت ( مشيرة ) تقول فى خفوت :

- فلينته الأمر على خير يا إلهي !.. ساعدنا .

والتقط ( محمود ) نفسا عميقا ، قبل أن يقول في توتر :

- هل ستتبعون الخطوات نفسها ؟

أجابه خبير التجميد :

- نعم .. سنتعامل مع جسدها وكأنه لم يتعرض للتجميد من قبل .

سأله في خفوت :

- ألا يؤذيها هذا ؟

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- ليس من الناحية العلمية .. ولكن جسدها سيجهد بشدة ، بحيث تصبح خلاياها سهلة الكسر ، مع أية حركة عنيفة .

ردد ( محمود ) في هلع :

- الكسر ؟!.. ماذا تعني بالله عليك ؟

أجابه الخبير :

- هذا أمر طبيعي ، فالخلايا تكتسب ليونتها ومرونتها ، بفضل نسبة المياه المرتفعة ، الداخلة في تكوينها ، أما لو تجمدت هذه المياه تماما ، مع كل السوائل الحيوية الأخرى ، فالخلايا تصبح صلبة ، وتفقد ليونتها ، وهذا يعرضها للكسر ، مع أية حركة عنيفة .



رأى الهلع يرتسم على وجه ( محمود ) ، فربت على كتفه ، مستطردا :

- ولكن من أين تأتي هذه الحركة العنيفة ؟.. كل شيء ساكن كما ترى .. اطمئن .

التفت ( محمود ) متطلعا إلى ( نور ) ، الذي استمع إلى حوارهما في صمت ، فقال ( نور ) :

- دعنا لا نفكر في هذا .

ولكن الواقع بالنسبة إليه كان يختلف تماما ..

إنه يفكر في كل شيء .

حتى في أضعف الاحتمالات ..

ربما كان الخوف هو دافعه إلى هذا ؟..

أو هي خبرات حياته السابقة ..

حياته التي لم تخل يوما من مواجهات عجيبة وغامضة ومثيرة ..

لقد واجه كل ما يمكن للمرء مواجهته ..

وحوشا غامضة ..

أحداثا فوق طبيعية ..

ظواهر خارقة ..

مخلوقات من كواكب أخرى ..

حروبا كونية ..

كوارث ..

كل شيء ..

ولكن العجيب انه لم يشعر يوما بالخوف والقلق ، كما يشعر بهما الآن ، وهو يقف في انتظار مصير ابنته الوحيدة .

إنه يشعر الآن وكأن كل خلية من خلاياه ترتجف .. ترتجف في عنف ..

- استعدوا لبدء عملية التجميد الثانية . ..

نطقها خبير التجميد ، وانتزعه بها من أفكاره ، فانتفض انتفاضة قوية ، ثم مد ذراعه يحيط به كتفي زوجته ، التي ارتجفت بدورها ، متمتمة :

- رباه .. رباه ؟..

وبدأت عملية التجميد ..

بدأت بضخ النتروجين السائل ، داخل أسطوانة التجميد ، التي يرقد داخلها جسد ( نشوى ) ، فشهقت ( سلوى ) ، وردّدت بصوت مرتفع :

- يا إلهي !.. احفظها .. أرجوك .

أما ( نور ) ، فراح ينقل بصره بين وجوه خبراء التجميد ، الذين راحوا يراقبون نتائج تلك التجربة الجديدة ، على شاشات الكمبيوتر ، والقلق يرسم خطوطه الواضحة في العيون والوجوه ..



ثم بدأت حركاتهم تتسم بالتوتر ، مما جعل ( نور ) يسألهم :

- أهناك خلل ما ؟

أجابه أحدهم ، في انفعال واضح :

- نعم .. جهاز الفحص مضطرب بشدة ، وهناك خلل غير طبيعي في أجهزة القياس ، فأحد المراكز العصبية في المخ يزداد نشاطا ، مع ارتفاع نسبة التجمد ، على عكس المألوف .

سألته ( سلوى ) مذعورة :

- وما الذي يعنيه هذا ؟

قلب كفيه ، قائلاً في توتر بالغ :

- أخبرينا أنت .. إننا لم نشاهد هذا قط من قبل .

وفجأة ، بدأ المكان يرتج في خفوت ، ثم تزايدت الارتجاجات تدريجيا ، فهتف كبير خبراء التجميد :

- لقد أصيبت الأجهزة كلها بالخلل ، وهي ترتج في شدة .

ساد هرج ومرج عجيبان ، في حين تعلق بصر ( محمود ) بتلك الأسطوانة الزجاجية ، التي تحوي جسد ( نشوى ) ، وهتف :

- يا إلهي !!.. لقد بدأت الأسطوانة في الارتجاج .



فقد اندفع داخل حجرة التجسيد ، ووثب فوق أحد أجهزة الكمبيوتر ، وانتزع غطاء صندوق أسلاك التغذية الرئيسية

صاح به خبير التجميد :

ـ لابد أن نوقف هذا الارتجاج ، وإلا فسيتهشم جسد الصغيرة ، كما يتحطم إناء زجاجي هش .

هوى قلب ( سلوى ) بين ضلوعها ، عند سماعها هذه العبارة ، أما ( نور ) ، فسأل الخبير في حدة :

ـ وكيف يمكن إيقاف هذا الارتجاج ؟

أجابه في عصبية :

ـ إننا نحاول هذا دون جدوى .. لم تعد هناك وسيلة ، سوى قطع أسلاك التغذية الرئيسية .

صاح به ( نور ) :

ـ وأين هي ؟

أشار الرجل إلى نقطة تعلو أسطوانة ( نشوى ) ، وهو يقول :

ـ ها هي ذي .

ولم يتردد ( نور ) لحظة واحدة ، على الرغم من حالته الصحية ، فقد اندفع داخل حجرة التجسيد ، ووثب فوق أحد أجهزة الكمبيوتر ، وانتزع غطاء صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ، والخبير يصيح به :

ـ لا تقطع كل الأسلاك .. فقط الأحمر والأزرق .

مال ( نور ) جانبًا ، ليلتقط الأسلاك المقصودة ، و ..

وفجأة سقط جهاز الكمبيوتر ، الذى يقف فوقه ( نور ) ..

سقط ليختلّ توازن ( نور ) ، ويسقط ..

وفي سقطته ، اتسعت عيناه في هلع ..

إنه يسقط في الشيء نفسه ، الذي يسعى لحمايته ..

فوق أسطوانة ( نشوى ) الزجاجية ..

* * *

انعقد حاجبا الدكتور ( حجازى ) في شدة ، وهو يطالع الإحصائيات ، التي توصّل إليها خبراء الكمبيوتر ، ثم رفع عينيه إلى الدكتور ( ناظم ) ، يسأله :

ـ هل أخبرت ( نور ) بهذا ؟

هزّ الدكتور ( ناظم ) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ ليس بعد .. لست أدرى حتى ما سيكون عليه رد فعله ، عندما يعلم هذا .

مطّ الدكتور ( حجازى ) شفتيه ، وغمغم :

ـ ولا أنا ..

ثم استطرد في صوت مرتفع :

ـ ولكن ألا نملك وسيلة للتغلب على هذه العقبة ؟

هزّ الدكتور ( ناظم ) رأسه نفيًا مرة أخرى ، قبل أن يقول :



ـ لا أعتقد هذا ، فتلك البقعة هى أعمق نقطة ، فى المحيط الأطلنطى كله ، ولم تنجح تكنولوجيا البشر بعد ، فى التغلب على الضغط الرهيب هناك .. بل يمكننى القول ، وبكل ثقة ، إنه بناء على كل العلوم المعروفة ، فإنه من المستحيل الوصول إلى كل هذا العمق .

صمت الدكتور ( حجازى ) لحظات مفكرًا ، ثم قال :

ـ وماذا عن القوات البحرية ؟.. ألا يمتلكون شيئًا يصلح لهذا ؟

هتف الدكتور ( ناظم ) :

ـ مستحيل !.. فلا يوجد معدن واحد ، فى الأرض كلها ، يمكنه مقاومة ما يزيد على ألفى ضغط جوى ، على السنتيمتر الواحد ، ولو فرض أننا وجدنا مثل هذا المعدن ، فسمكه ووزنه سيعطيان قوة دفع هائلة ، من أسفل إلى أعلى ، مما يجعل الهبوط مستحيلاً تقريبًا ، إلى هذا العمق .

قال الدكتور ( حجازى ) فى أمل :

ـ أتقول تقريبًا ؟

عقد الدكتور ( ناظم ) حاجبيه ، وقال :

ـ بل هو مستحيل تمامًا .

لاذ الدكتور ( حجازى ) بالصمت لحظة أخرى ، ثم قال في حزم :

- فليكن .. لن يضيرنا أن نسأل .

والتقط سماعة هاتف الفيديو ، وضغط أزراره في حماس ، فسأله الدكتور ( ناظم ) :

- بمن تتصل ؟

أجابه في حرارة :

- باللواء ( يسرى حسن ) .. قائد القوات البحرية الحالي ، وقائد سلاح الغواصات السابق .. إنه صديق قديم ، وهو الرجل المناسب لمثل هذه المشكلة .

لم يكد ينتهي من إجراء الاتصال ، حتى ظهرت على الشاشة صورة رجل أسمر البشرة ، هادئ ورصين الملامح ، له شارب أنيق ، وشعر وخطه الشيب ، فقال الدكتور ( حجازى ) :

- مساء الخير يا سيادة اللواء .. كيف حالك ؟

بدا صوت اللواء ( يسرى ) رصينًا كهيئته ، وهو يقول :

- كيف حالك أنت يا دكتور ( حجازى ) ؟. مضى زمن طويل ، منذ التقينا لآخر مرة .

تمتم الدكتور ( حجازى ) :

- إنها مشكلات الحياة كما تعلم .



ثم استطرد في لهفة :

- والواقع أن لدى سؤالاً هامًا ، يتعلق بعملك .

ابتسم اللواء ( يسرى ) ، وقال :

- كنت أتوقع هذا .. حسن .. هات ما لديك .

أجابه الدكتور ( حجازى ) بسرعة :

- ألديكم وسيلة للغوص ، حتى أعماق المحيط الأطلنطي .

رفع اللواء ( يسرى ) حاجبيه في دهشة ، وهتف :

- أعماق الأطلنطي ؟!.. كلا بالطبع .. لا نحن ولا أية دولة أخرى .. هل تعرف كم يبلغ العمق هناك ؟.. وكم مقدار الضغط الجوى ؟

تمتم الدكتور ( حجازى ) في أسف :

- نعم .. أعلم هذا .

وعندما أنهى المحادثة ، غمغم الدكتور ( ناظم ) :

- ألم أقل لك ؟

تنهد الدكتور ( حجازى ) وقال :

- كنت أتشبث بالأمل الأخير ، ولكن ..

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد في حزن جارف :

- ولكنه قدر ( نشوى ) ونهايتها .. نهايتها بلا ريب .

وبكى قلبه بدموع من دم ..

☆ ☆ ☆

## ٩ ـ السـقوط ..

هل يمكن التحكم في الجسم البشري ، في أثناء السقوط ؟..

هل يستطيع الإنسان مقاومة تأثير الجاذبية الأرضية ، ولو لحظة واحدة ؟..

قبل أن تبحث عن الجواب ، أو تلتقط موسوعتك ، وتقلب صفحاتها ، دعنا نطالع معًا جواب السؤالين ، عبر ما حدث في أثناء سقوط ( نور ) ..

لقد رآه الجميع يسقط ، فوق الأسطوانة مباشرة ، فاتسعت عينا ( محمود ) في هلع ورعب ، وشهقت ( سلوى ) في قوة ، وتجمدت ( مشيرة ) مذعورة ..

ولكن اللحظة التالية حملت الكثير ..

والكثير جدًا ..

لقد قلبت الموازين كلها دفعة واحدة ، ورأسًا على عقب ..

حتى موازين الطبيعة ..

لقد كان سقوط ( نور ) مباشرًا ، فوق الأسطوانة ، ولكن جسده بدا لهم فجأة وكأنه ارتفع عدة سنتيمترات دفعة واحدة ، ثم انحرف يسارًا ، وواصل سقوطه ، بعد أن تفادى الأسطوانة ..

وصرخت ( سلوى ) ، عندما ارتطم جسده بالأرض :

ـ يا إلهي !.. ( نور ) .



ولكن ( نور ) وثب واقفًا على قدميه مرة ثانية ، وانتزع مقعدًا طويلًا ، دفعه أسفل صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ، وقفز فوقه ، والأسطوانة ترتج بقوة أكثر وأكثر ، وخبير التجميد يقول :

ـ مستحيل !.. أكاد أقسم أن جسده وثب لحظة إلى أعلى ..

تمتم ( محمود ) مأخوذًا :

ـ هذا ما حدث بالفعل .

هتف الخبير :

ـ ولكن هذا مستحيل !.. إنه يخالف كل القواعد العلمية المعروفة .

أجابه ( محمود ) :

ـ هناك قاعدة أقوى ، يتجاهل العلماء وجودها ، في معظم الأحيان .. قاعدة تعرف باسم ( الإرادة ) .

قالها و ( نور ) ينتزع غطاء الصندوق ، ويلقيه بعيدًا ، ثم يجذب السلكين ، الأحمر والأزرق ، بكل ما يملك من قوة .

ودوى انفجار مكتوم ..

انفجار في صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ، أطاح بـ ( نور ) بعيدًا ، فارتطم جسده بالحائط ، ثم سقط أرضًا ..

ومع الانفجار ، انقلبت أسطوانة ( نشوى ) ، ثم مالت على جانبها . وبدا للجميع أنها ستهوى أرضًا ، فصرخت ( سلوى ) :

ـ ( نشوى ) .. لا .. انقذوا ابنتى .

كانت المسافة التى تفصل الأسطوانة عن ( محمود ) والخبير بعيدة ، وعلى الرغم من هذا فقد تحركا نحوه ، ولكن فجأة ، هب ( نور ) من مكانه ، واندفع نحو الأسطوانة ، ثم أسندها بذراعيه فى حذر ، ودفعها فى رفق ، لتستقر فى موضعها مرة ثانية ، وتهدأ تمامًا ..

ومرة أخرى ، هتف الخبير مأخوذًا :

ـ مستحيل !.. إنها معجزة .

تمتم ( محمود ) فى ارتياح :

ـ لأنك لا تعرف ( نور ) كما أعرفه .

أما ( سلوى ) ، فقد اندفعت نحو ( نور ) ، واحتضنته فى لهفة ، قائلة :

ـ ( نور ) .. لقد أنقذت ابنتنا .. أنقذت ( نشوى ) .

لهث فى تهالك ، وهو يقول :

ـ لقد فعلت شيئًا من أجلها على الأقل .

تعلقت بهما ( مشيرة ) ، وهى تقول :

ـ لولاك لتهشم جسدها .



قال فى إرهاق ، وهو يحاول النهوض :

ـ وما الفارق ؟.. إنه سيتلاشى على أية حال .

عقدت حاجبيها ، قائلة فى حزم :

ـ ولكنه لم يفعل بعد .

ملأت عبارتها بالحزم والإصرار ، فنهض فى ضعف ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ونحن لم نفقد الأمل بعد .

ثم سأل خبير التجميد :

ـ هل تعيدون التجربة ؟

أومأ الخبير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع .. ولكننا سنعيد برمجة الأجهزة ، بحيث تستعد لحالات التجميد المضاعفة هذه .

سأله ( نور ) ، وهو يقاوم فى صعوبة ذلك الدوار ، الذى يحيط برأسه :

ـ ومتى تفعلون ؟

أجابه الخبير :

ـ أمهلنا ساعة واحدة فحسب .

هتف ( نور ) معترضًا :

ـ ساعة واحدة ؟!.. أتعلم كم تساوى هذه الساعة من عمر ابنتى ؟!

قال الضابط :

ـ اهدأ أيها الوالد .. إننا نبذل قصارى جهدنا .

صاح به ( نور ) :

ـ ابذلوا ما هو أكثر .. إنها حياة ابنتي .. ألا تقدرون هذا ؟

اقترب منه الدكتور ( حاتم ) ، وقال في حزم :

ـ هل تسمح لي يا ( نور ) ؟

قالها وغرس إبرة محقن بغتة ، في ذراع ( نور ) ، الذي صاح في استنكار :

ـ ما الذي تفعله ؟

حقنه الدكتور ( حاتم ) بالمادة التي يحتويها المحقن ، ثم جذبه من ذراعه ، وهو يقول :

ـ هذا لصالحك .. اطمئن .

امسكه ( نور ) في قوة ، وهو يهتف :

ـ ومن سمح لك ؟

ابتسم الدكتور ( حاتم ) ، قائلاً :

ـ قانون الأطباء .

حاول ( نور ) أن يفعل شيئاً ، ولكن رأسه دار فجأة في عنف ، ومادت به الأرض ، و ...

وهوى فاقد الوعي ..



وفي هدوء استقبله الدكتور ( حاتم ) بين ذراعيه ، وقال لـ ( محمود ) :

ـ هيا .. ساعدني لننقله إلى سيارتي ، ونعود به مباشرة إلى المستشفى .

سأله ( محمود ) في قلق :

ـ أهي حقنة مخدرة ؟!

أجابه الدكتور ( حاتم ) :

ـ بل منشطة ، تحوي مزيجاً مدهشاً من الفيتامينات ، ولكنها ستفقده وعيه لساعة واحدة ، يستيقظ بعدها مفعماً بالنشاط والحيوية .

سألته ( سلوى ) في قلق :

ـ وما نوع هذا العقار العجيب ؟

ابتسم قائلاً :

ـ لا تقلقي نفسك بهذا .. المهم أن يستعيد نشاطه وحيويته ، فربما يساعده هذا على القتال من أجل ابنته .

وصمت لحظة ، ثم استطرد في خفوت :

ـ ربما !

☆ ☆ ☆

كان الدكتور ( حاتم ) محقاً تماماً في تقديره ..

لقد استعاد ( نور ) وعيه بعد ساعة بالضبط ، وبدا

مفعما بالنشاط والحيوية ، وهو يرتدى ملابسه ، ويقول لطبيبه المعالج :

ـ أظن أنه من الممكن أن أغادر المستشفى الآن .

قال الطبيب :

ـ لا تجعل تأثير العقار يخدعك .. إننا نعرفه منذ ثلاث سنوات . ولكننا نتردد طويلاً قبل استخدامه ، فللجسم البشرى طاقته ، ومن الخطأ أن نستهلك قدرًا كبيرًا منها دفعة واحدة ، إذ أن هذا يرهق خلاياه وأجهزته ، ويجعله أكثر احتياجا للراحة والنوم . وهذا يعنى أن فترة النشاط الفائقة ستعقبها فترة إرهاق وانهيار أشد .

سأله ( نور ) فى قلق :

ـ ومتى تحين فترة الانهيار هذه ؟

أجابه الطبيب ، ملوّحا بيده :

ـ لا أحد يعلم .. إنها تختلف من شخص إلى آخر ، طبقًا لقدراته الجسمانية الفعلية ، والنشاط الذى يبذله ، بعد تناوله العقار . ولكنها تتراوح ما بين أربع وعشرين ساعة ، وثلاثة أيام كاملة .

أومأ ( نور ) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا كل ما أحتاج إليه .



ثم لوّح للطبيب بيده ، مستطردًا :

ـ إلى اللقاء ..

كان يشعر بالقوة تدب فى عروقه ، وهو يثب داخل سيارته الصاروخية ، وينطلق بها إلى مركز أبحاث الفضاء ، وهناك استقبله الجميع فى دهشة واضحة ، وهتفت ( سلوى ) :

ـ ( نور ) .. إنك تبدو سليمًا معافى .

وقال ( محمود ) فى ارتياح :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا ( نور ) .

أما الدكتور ( حاتم ) ، فابتسم قائلاً :

ـ عظيم .. أكثر مما كنت أتوقع بكثير .

سألهم ( نور ) بصوت قوى :

ـ كيف حال ( نشوى ) ؟

أجابته ( سلوى ) :

ـ لقد نجحوا فى تجميدها مرة ثانية ، وهذا يعنى أنها حصلت على جرعة مضاعفة من التجميد ، ولكن ..

انتفض قلبه فى صدره ، وهو يسألها :

ـ ولكن ماذا ؟!

بدا عليها الحزن والتردد ، فأجاب الدكتور ( حاتم ) :

ـ ولكن مازال ذلك المركز الحيوى فى مخها يعمل .



كان يشعر بالمرارة تسرى فى عروقه ، وهو يثب داخل سيارته الصاروخية ، وينطلق بها إلى مركز أبحاث الفضاء .

هتف ( نور ) محنقًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. لماذا يقاوم ذلك المركز عمليات التجميد بهذا الإصرار ؟

أجابه الدكتور ( حجازى ) :

ـ إنه ليس مركزًا حيويًا فى الواقع يا ( نور ) ، وإن كان بعض العلماء يرجحون كونه كذلك ، ولكنه جزء من الفص الأمامى للمخ ، وهذا الفص الأمامى بالذات يثير خيال واهتمام العلماء ، منذ بدأت أبحاثهم الجادة عن المخ البشرى ، فعلى عكس الأجزاء الأخرى من المخ ، يبدو هذا الفص الأمامى خاملاً ساكنًا ، لا يحوى أية وظائف واضحة ، بل إن إزالته تمامًا لم تسبب أضرارًا ملموسة لحيوانات التجارب ، مما حدا بالبعض إلى استنتاج أن وظيفته ليست عضوية بالدرجة الأولى ، بل تختص بالروحانيات مثلاً ، أو الأحلام ، أو حتى الشخصية والإرادة ، ولكنها مجرد نظريات ، لم تجد دليلاً علميًا واحدًا حتى الآن (*) .. والمكان الذى يعمل فى مخ ابنتك ، هو الجزء الأمامى الأيسر ، من فص المخ الأمامى وحده .. وهذا ما جعل بعض الخبراء هنا يشيرون إلى احتمال وجود مركز حيوى ، فى تلك البقعة بالذات .

(*) حقيقة علمية .

قال ( نور ) فى عصبية :

ـ هذا لا يجيب سؤالى .. لماذا يقاوم هذا الجزء من مخها عملية التجميد هكذا ؟

قلب الدكتور ( حجازى ) كفيه ، قائلاً :

ـ هذا ما نبحث عنه جميعاً ، وما يثير حيرتنا وقلقنا .

قال الدكتور ( حاتم ) فى اهتمام :

ـ فى رأيى أن لهذا علاقة بذلك العقار ، الذى يسرى فى دمها .. إننا لا نعرف تركيبه ، ولكن من الواضح أن وظيفته لا تقتصر على زيادة عمرها فحسب ، بل تتجاوز هذا إلى منح عقلها قوة خاصة ، غير مألوفة فى عالمنا .. قوة ربما يتمتع بها سادة الأعماق هؤلاء ، أو كانوا يتمتعون بها ، قبل أن تعملوا على تدميرهم .. وربما تركز هذه القوة عملها فى الجزء الأمامى الأيسر ، من فص المخ الأمامى ، وهذا يفسر استمرار هذا الجزء فى العمل ، على الرغم من تجميد جسدها كله .

قالت ( سلوى ) فى حيرة :

ـ ولكن كيف يواصل عمله ، دون الحصول على الأكسجين اللازم ، على الرغم من تجمد الدماء فى عروقها ؟.. أليس الدم هو المسئول عن نقل الغذاء والأكسجين إلى خلايا الجسم المختلفة ؟



أجابها الدكتور ( حاتم ) :

ـ هذا صحيح ، ولكن ذلك الجزء يعمل فى بطء شديد ، ويحيط نفسه بمنطقة دافئة بوسيلة ما ، تتيح له استهلاك المخزون فى الخلايا المحيطة به من أكسجين .

سأله ( نور ) فى قلق :

ـ وهل يستمر فى استهلاك الأكسجين من الخلايا المحيطة به إلى الأبد ؟

تطلع إليه الدكتور ( حاتم ) لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ هذا ما نخشاه بالتحديد أيها الرائد ، فلو واصل هذا الجزء عمله ، وتطفله على الأجزاء المحيطة به ، سيلتهم كل مخزون الأكسجين والطاقة لديها ، خلال يوم واحد على الأكثر .

سأله ( نور ) :

ـ وماذا يحدث عندئذ ؟

صمت الدكتور ( حاتم ) طويلاً هذه المرة ، وهو يدير عينيه فى وجوههم جميعاً ، قبل أن يجيب فى صوت خافت متردد :

ـ فى هذه الحالة لن تكون هناك فائدة من إيقاظ ابنتك ، وإعادتها إلى حالة الوعى ، لأنها ستكون قد فقدت المحرك الرئيسى لجسمها كله .. المخ .

☆ ☆ ☆

مضت فترة طويلة نسبيًا ، من صمت رهيب ثقيل ، خيم على المكان كله ، قبل أن ينتفض ( نور ) ، ويقول فى حدة :

- لن ننتظر حدوث هذا .

ثم اندفع نحو حجرة التجميد ، مستطردا :

- لابد أن نفعل شيئًا .

اعترض خبير التجميد طريقه ، صائحًا :

- ابتعد .. ليس لديك ما تفعله .

صرخ به ( نور ) ، وهو يدفعه بعيدًا فى قوة :

- لن يمنعنى منعى .. لابد أن أفعل شيئًا لإنقاذها .

اندفع الجميع نحوه ، وحاولوا تكبيل حركته ، وتهدئة ثورته ، والدكتور ( حجازى ) يهتف :

- اهدأيا ( نور ) .. لست تملك شيئا .. لست تملك شيئا يا ولدى .

ثم أمسك كتفى ( نور ) فى قوة ، وصرخ فى وجهه مكررًا :

- لست تملك شيئًا .

توقف ( نور ) عن الصراخ ، وتطلع إليه فى مرارة ويأس ، فكرر الرجل فى خفوت شديد ، وحنان مشفق :

- كلنا لا نملك شيئًا من أجلها يا ولدى .



ترقرقت عينا ( نور ) بالدموع ، وارتجفت شفتاه لحظة ، ثم اندفع مغادرًا المكان كله ، فهتفت ( سلوى ) فى لوعة :

- فلنلحق به .. إنه مصاب بإحباط شديد .

أما ( نور ) ، فقد انطلق يعدو خارج مركز أبحاث الفضاء ، ووثب داخل سيارته ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، مبتعدًا عن المكان ، وعن آلامه كلها ..

وفى مرارة ، ترك دموعه تسيل على خديه ، وهو يردد :

- ساعدنى يا إلهى !.. ساعدنى على إنقاذ ابنتى الوحيدة .. لقد عانت الكثير فى هذا العالم ، منذ حداثتها .. ساعدنى على إنقاذها والاحتفاظ بها .

اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو ينطلق بالسيارة ، حتى تجاوز حدود المدينة الجديدة ، وضغط فرامل السيارة فى رفق ، وتركها تتوقف فى تلك البقعة الخالية ..

وللحظات ، ظلت أفكاره كلها جامدة ، صامتة مبلبلة .. ثم استعادت ذاكرته واحدًا من المواقف التى لن ينساها أبدًا ، مهما بلغ به العمر ..

موقفًا حدث فى هذا المكان ..

وفى هذه البقعة بالتحديد ..

كان هذا بعد رحيل الغزاة بزمن قصير(*) ، وتفجيرهم لقنبلة ( جاما ) في سماء كوكب الأرض ، التي ذهبت بالعقول ، وأعادت العالم إلى عصور البدائية والتخلف(* *) ..

وبعد قتال رهيب ، ومحاولات مستميتة ، نجح ( محمود ) والدكتور ( رشاد خيري ) ، أشهر خبراء الأشعة ، في اختراع القنبلة العكسية ، التي يمكنها إزالة آثار قنبلة ( جاما )(* * *) .

ولكن بقيت مشكلة واحدة ..

كيف يتم تفجير القنبلة العكسية ؟

وما يزال ( نور ) يذكر ما حدث ، حتى هذه اللحظة ، وكأنما هو ذكرى قريبة للغاية ..

يذكره بكل تفاصيله ..

يذكر كيف شرح الأمر كله لـ ( س - ١٨ ) .. ذلك الآلي القادم من أعماق الماضي ، والذي صنعه عباقرة ( أطلانطس )(* * * *) ..

---

(*) راجع قصة ( الاحتلال ) .. المغامرة رقم (٧٦) .

(* *) راجع قصة ( النصر ) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(* * *) راجع قصة ( أرض العدم ) .. المغامرة رقم (٨٣) .

(* * * *) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .



مايزال يذكر عبارة (س - ١٨) الأخيرة :

- (س - ١٨) في خدمتك يا سيدي .

ثم انطلق ..

انطلق بصواريخه الدافعة إلى سماء الكوكب ، بسرعته الفائقة ، حتى بلغ نفس الموضع ، الذي انفجرت فيه قنبلة ( جاما ) ، ثم توقف في الهواء ، وراح جسده يتألق ، حتى أضاء المكان كله ، كشمس صغيرة ، أشرقت في غير موعدها ..

ثم حدث ذلك الانفجار ..

انفجار رهيب ، سطع كشمس عملاقة ، في سماء الكوكب كله ، وانطلق منه غلاف إشعاعي هائل ، أحاط الكوكب في سرعة الضوء ، فتألق غلافه الجوي ببريق أخاذ لثلاث دقائق ، وبعدها اختفى ..

ومعه اختفى الآلي ..

(س - ١٨) ..(*)

كل هذا يذكره ( نور ) ؛ ولم ينس منه حرفًا واحدًا ..

وبكل الألم والمرارة في أعماقه ، صرخ ( نور ) :

- أين أنت الآن يا (س - ١٨) ؟.. إنني أحتاج إليك ..

أين أنت الآن ؟ كرر صراخه مرات ومرات ، حتى لحقت به سيارة ( محمود ) ، وقفزت منها ( سلوى ) ، هاتفة :

---

(*) راجع قصة ( أرض العدم ) .. المغامرة رقم (٨٣) .

- ( نور ) .. لا تفعل هذا .

ولكنه صرخ مرة أخرى :

- إننى أحتاج إليك يا (س - ١٨) .

احتوته ( سلوى ) بين ذراعيها فى حنان ، وهتفت :

- ( نور ) .. لا تفعل هذا قط .. إننى لم أرك أبدًا ضعيفًا عاجزًا ، مثلما أراك الآن .. لا يا ( نور ) .. لا تستسلم لضعفك أبدًا .. أريدك قويًا كما أنت دائمًا .. قويًا وصلبًا يا ( نور ) .

غمغم ( محمود ) فى ألم :

- لقد بذل جهدًا يفوق طاقة البشر .

صاحت ( سلوى ) :

- ولكنه أقوى من عرفت .. إنه لن يفقد الأمل أبدًا .. سنجد الوسيلة لإنقاذ ابنتنا يا ( نور ) .. سنجدها بإذن الله .

تمتم ( نور ) ، وهو يسيطر على أعصابه :

- نعم يا ( سلوى ) .. سنجدها بإذن الله .. إننى لم أفقد الأمل أبدًا ، ولكننى لم أعتد هذا الشعور البغيض بالعجز .. يا إلهى !.. لو أن (س - ١٨) هنا ، و ...

قاطعته بسرعة :

- لا تجعل هذه الفكرة تسيطر عليك يا ( نور) .. إننا



سنجد الحل بدون (س - ١٨) .. لقد رحل (س - ١٨) يا ( نور ) .. رحل إلى الأبد .

أومأ ( نور ) برأسه إيجابًا ، وأدار محرك سيارته ، مغمغمًا :

- نعم .. رحل إلى الأبد .

وانطلق عائدًا إلى منزله فى صمت .. وفى ألم .

* * *

## ١٠ ـ العـــودة ..

جاءت تلك الليلة عاصفة ممطرة ، انهمرت فيها الأمطار فى غزارة ، وتألق البرق فى السماء ، وراحت الرياح تطلق صفيرًا مخيفًا مزعجًا ..

ووسط كل هذا ، تسللت ( سلوى ) إلى حجرة مكتب ( نور ) شبه المظلمة ، وفتحت بابها فى رفق ، وهمست :

ـ ( نور ) .. أمازلت مستيقظًا ؟

أتاها صوت ( نور ) ، وهو يقول فى مرارة :

ـ وكيف يغمض لى جفن ، و ( نشوى ) تتعرَّض لكل هذا ؟!

تطلَّعت إليه مشفقة ، على ضوء مصباح خافت ، مثبت فوق مكتبه ، ثم اتجهت إليه قائلة فى حنان :

ـ لا أحد يمكن أن يحيا دون نوم أو راحة ، فللجسم البشرى متطلباته ، كما يقول الدكتور ( حاتم ) ، وتذكَّر ذلك العقار الذى حقنك به .. لا تعجَّل بقدوم مرحلة الانهيار .

غمغم فى ألم :

ـ لقد حاولت .

ثم زفر فى عمق ، قبل أن يضيف :

ـ وفشلت .

تطلَّعت إليه لحظة فى تعاطف ، ثم احتوت رأسه بكفيها ، وضمَّته إلى صدرها فى حنان ، وهى تقول :



ـ أدرك جيدًا كيف تشعر يا ( نور ) ، فهى ابنتى الوحيدة مثلك ، ولكننى أدرك أيضًا أننا لن نفيدها كثيرًا ، إذا ما قتلنا أنفسنا إرهاقًا .

قال فى خفوت :

ـ ليت الأمر بيدى .. إننا نفقد الكثير فى كل ساعة تمر ، ولست أجد وسيلة واحدة لمساعدتها .

غمغمت فى أسى :

ـ الدكتور ( حاتم ) يؤكد أن التجميد الإضافى أدى إلى انخفاض ملحوظ ، فى الغد التنازلى لعمرها ، وهذا يمنحنا مزيدًا من الوقت .

قال بسرعة :

ـ ولكن ذلك الجزء المستيقظ من عقلها يلتهم خلايا المخ بلا رحمة .

تنهَّدت فى عمق ، وقالت :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟

تمتم فى مرارة :

ـ لست أدرى .

ثم انتفض جسده فجأة ، وهو يستطرد :

ـ ولكننى لن أستسلم لهذا .

هبَّ من مقعده ، ووقف صامتًا ، أمام صورة ابنته ، التى تزين مكتبه ، وأضاف فى حنق وألم :

ـ أترين كيف كانت ؟!.. شابة جميلة ، مفعمة بالنشاط والحيوية والأمل .. كيف هى الآن ؟.. مخلوق بائس ، تسير حياته ضد الزمن ، فينخفض عمره فى كل لحظة تمضى ، على عكس باقى البشر .

شعرت بالألم من أجله ، وقالت فى خفوت :

ـ وهل تملك ما نفعله من أجلها ؟

صرخ فى مرارة :

ـ ينبغى أن نحاول .

قالت فى إحباط :

ـ لقد حاولنا يا ( نور ) ، ولكننا لم نفلح .. صحيح أننا عرفنا الموقع ، الذى توجد فيه آخر كمية من عقار النمو ، ولكن من المستحيل أن نتوصَّل إليه .. إنه على عمق رهيب يا ( نور ) .

ردد متألمًا :

ـ أعلم هذا .. لقد أخبرنى الدكتور ( ناظم ) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى شرفة حجرة المكتب ، التى تطلّ على حديقة المنزل ، فاعتدلت ( سلوى ) فى توتر ، وسألته :



ـ ماذا هناك ؟

أجاب فى خفوت :

ـ شخص ما تسلل إلى الشرفة .

اضطربت وهى تختلس النظر إلى الشرفة ، وسألته هامسة :

ـ هل رأيته ؟

أجاب وهو يدور حول مكتبه ، ويلتقط مسدسه الليزرى من أحد أدراجه :

ـ بل سمعت صوته .

غمغمت متوترة :

ـ ربما هو هزيم الرعد ، أو ...

قاطعها فى حزم :

ـ بل هو شخص ما ..

اتجه فى حذر إلى الشرفة ، التى انسدلت عليها ستارة ناعمة ، وهو يشير إلى ( سلوى ) ، هامسًا :

ـ ابتعدى قليلاً ، فقد يطلق النار .

التصقت بالمكتب فى خوف وقلق ، وراقبته وهو يتجه فى خطوات حذرة إلى الشرفة ، وهتفت همسًا :

ـ احترس يا ( نور ) .

لوّح لها بيده ، طالبًا منها الصمت ، فى نفس اللحظة التى سطع فيها البرق فى السماء ..

وعلى ضوء البرق ، شهقت ( سلوى ) شهقة مكتومة ..

لقد أوضح البرق ظل شخص ما ، يقف جامدا أمام الشرفة مباشرة ..

شخص مخيف ..

وهمست ( سلوى ) مكررة فى ذعر :

ـ احترس يا ( نور ) .

ولكن ( نور ) وثب نحو الشرفة فى جرأة ، وفتحها على مصراعيها بضربة واحدة ، وصوّب مسدسه إلى القائم ، هاتفا فى صرامة :

ـ ألديك تفسير لوجودك هنا يا صاح ؟

وفى نفس اللحظة ، سطع البرق مرة أخرى ، واتسعت عينا ( نور ) فى دهشة ، وهو يحدق فى الشخص الواقف أمامه ، والذى ردد بصوت معدنى مألوف :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى ..

وخفق قلب ( نور ) فى قوة ..

وفى أمل .

★ ★ ★

[ انتهى الجزء الأوّل بحمد الله ]

ويليه الجزء الثانى

( الرحلة الرهيبة )

---

رقم الإيداع ٣٢١٥